د. نوال السعداوى

الإله
يقدم أستقالته
فى اجتماع القمة

المسرحيات



مكتبة
مدبولى

قصة هذه المسرحية (*)

لهذه المسرحية قصة حقيقية، بدأت في واقع الحياة التى عاشتها مؤلفة المسرحية، ليلة التاسع من يونيو ١٩٩٢ ، بمدينة القاهرة، عاصمة جمهورية مصر العربية.

بعد منتصف الليل سمعت المؤلفة الدقات على باب بيتها فى شارع مراد بالجيزة. هذه الدقات فى مثل هذا الوقت لم تكن إلا لزوار الفجر. هاتان الكلمتان «زوار الفجر» كانا يجريان على ألسنة الناس فى مصر القديمة ومصر الحديثة منذ عهد محمد على باشا حتى اليوم. إنهم رجال البوليس يهبطون على بيوت الناس قبل طلوع الفجر بقليل، يقبضون على الرجال والنساء لإيداعهم السجون، كما يقبض عذرائيل إله الموت على الأرواح.

كانت المؤلفة نائمة في سريرها إلى جوارها زوجها. لم تسمع هى

(*) هذه المسرحية قدمت على مسرح جامعة ديوك يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦ قام تمثيلها الطلبة والطالبات بقسم الأديان تحت إشراف رئيس القسم الأستاذ الدكتور بروس لورانس.
قام بتلخيصها وترجمتها إلى اللغة الإنجليزية الأستاذ عز الدين الشرجى (من المغرب) بجامعة ديوك بولاية نورث كارولينا بأمريكا الشمالية.

الدقات أول الأمر. أو سمعتها وتصورت أنها مجرد حلم، أو كابوس، أوذكرى ما حدث فى الماضى، حين دقوا عليها الباب يوم السادس من ستمبر ١٩٨١ ، كانت وحدها بالبيت، تصورت أنهم لصوص فلم تفتح الباب، فإذا بهم يكسرون الباب ويسوقونها إلى السجن دون تحقيق ودون جريمة، اللهم حروفها المطبوعة على الورق.

كان زوجها هو الذى سمع الدقات تلك الليلة من يونيو. بخبرته الطويلة داخل السجون أدرك أنهم زوار الفجر. إنه طبيب وأديب مرهف الحس، كان في شبابه يحلم بالحرية والعدل، فإذا به نزيل السجن ثلاثة عشر عاما، أجمل سنين الشباب قضاها وراء القضبان، وأربعة سنوات قضاها فى المنفى، بقية العمر عاش مطاردا لم يستقر إلا الأعوام الأخيرة بعد أن تجاوز السبعين عاما.

هاهى الدقات على الباب تؤكد أنه لم يستقر أبدا، وأن زوار الفجر لن يتركوه يكمل الجزء الأخير من مذكرات حياته.

لكن هذه الزيارة لم تكن للزوج وإنما للزوجة، مؤلفة المسرحية، هذه المرة لم يسوقوها إلى السجن ، ولكن زفوا إليها خبرا مفزعا. أحد الأساتذة من الكتاب الإسلاميين تم اغتياله منذ ساعات. القتلة مجهولون حتى الآن. أصدرت الحكومة أمرا بحماية الأرواح التى وردت أسماءهم فى قائمة الموتى.

ـ قائمة الموتى؟!

كلمتان مفزعتان، كانتا تجريان على ألسنة الناس فى السنين الأخيرة، هناك قوى مجهولة تتحدث بلسان الله وتمسك فى يدها الرشاشات والقنابل. تطارد اى إنسان يكتب شيئا يختلف عما يقولون. تحكم عليه

بالكفر أو الردة عن الإسلام. تضع اسمه فى قائمة الموتى، وتنفذ الحكم بالرصاص ثم تهرب.

فى ديسمبر ١٩٨٨ أصدرت الحكومة أمرا بوضع حراسة مسلحة حول بيت المؤلفة. لم تعرف المؤلفة السبب. إن أوامر الحكومة مثل أوامر الله تنفذ دون سؤال عن الأسباب. عاشت المؤلفة تحت الحراسة عامين من ديسمبر ١٩٨٨ إلى ديسمبر ١٩٩٠ . ثم اختفت الحراسة المسلحة فجأة كما جاءت دون إبداء الأسباب.

لكن الناس فى مصر كغيرها من بلاد العالم تتسلى بالحكايات، أبطالها شخصيات حقيقية يعرفها الجميع، على رأسهم طبعا رئيس الدولة، فهو قمة الهرم الأكبر فوق الأرض. لا يعلوه إلا الله الجالس على عرش السماء، وكان الناس يخلطون دائما بين شخصية الجالس على عرش الأرض والجالس على العرش السماوى. هذه عادة الناس فى كل مكان وزمان. لأسباب متعددة، منها أن رؤساء الدول منذ نشوء الدولة فى التاريخ يتخفون وراء اسم الله. يصدرون الأوامر باسم الله. يبدأون أى خطاب للناس باسم الله. كيف يمكن إذن للناس أن تفصل بين لسان رئيس الدولة ولسان الله سبحانه وتعالى؟! وكان رئيس الدولة يطلق على نفسه ألقابا مقدسة مثل «البابا» فى الغرب «و الإمام» فى الشرق، ويقبض بين يديه على السلطات جميعا السياسية والدينية وأهمها طبعا الخزانة العامة أو أموال الدولة، التى دخلت فى التاريخ تحت اسم أموال الكنيسة أو الجامع، فى التاريخ الحديث يسمونها «بنك الله» على غرار «حزب الله» الذى أصبحت له قوة سياسية وعسكرية لا ينافسه فى قوته إلا حزب الشيطان.

دارت بين الناس حكاية تقول أن الحراسة المسلحة وضعت حول بيت

المؤلفة لأنها أصدرت رواية تحت عنوان «سقوط الإمام» أجزاء من هذه الرواية كتبتها داخل سجن النساء عام ١٩٨١ بالقاهرة، قبل اغتيال رئيس الدولة فى مصر «أنور السادات» بشهر واحد.

كان السادات يخلط كثيرا بين الحاكم الأرضى رئيس الجمهورية الذى يستمد قوته من القانون المدنى وتشريعات الدولة، وبين الحاكم الدينى «الإمام» الذى يستمد قوته من القانون الإلهى وكتاب الله، وقد غير الدستور المصرى، وأصبحت الشريعة الإسلامية هى المصدر الوحيد لهذا الدستور. حمل السادات لقب «الرئيس المؤمن»، وأصدر قرار بأن المرتد عن الإسلام عقابه الإعدام، ونصب نفسه رئيسا مدى الحياة كالآلهة الخالدون.

لم تشعر المؤلفة بالأمان تحت هذه الحراسة المسلحة. أيمكن أن تحمى الحكومة حياتها؟ كانت الثقة مفقوده بين الناس والحكومة. منذ نشوء الحكومات فى التاريخ لم ير الناس منها أى خير. اغتيالات حدثت للمحروسين بيد حراسهم والأستاذ الكاتب الإسلامى الذى تم اغتياله كانت الحكومة تحرسه. طلبت من الحكومة عدم حماية حياتها، فهى حياتها تملكها وتحميها بنفسها. رفضت الحكومة الطلب. قالت للمؤلفة إن حياتك ليست ملكا لك ولكنها ملك الحكومة.

لأول مرة تشعر المؤلفة أن حياتها مهددة وليست ملكها الرصاصة سوف تنطلق حتما. من هى اليد التى سوف تضرب؟ أعداؤها كثيرون منذ أمسكت القلم وكتبت. داخل الحكومة وخارجها. على رأسهم بالطبع المتكلمون باسم الله، الضاربون بالرصاص باسم الله أيضا.

فى الليل تحلم المؤلف أنها تحولت إلى كائن يشبه الطائر له جناحان، وأنها تطير وتطير، تجتاز حدود الوطن وتنجو بحياتها. لكنها تصحو من

النوم، وترى الحراس أمام الباب والبودى جارد يشبه الجلادين، وبدأت المسرحية تنمو فى أحشائها كالجنين.

فى يوم وهى جالسة تكتب فى بيتها دق جرس الباب. كانت فتاة شابة بيضاء البشرة، شعرها ناعم أصفر، طويلة القامة اسمها اليزابيث، أمريكية الجنسية، جاءت فى زيارة قصيرة إلى مصر، أرادت أن تتعرف على المؤلفة، فقد قرأت لها بعض الروايات والكتب حين كانت طالبة بإحدى الجامعات. دهشت إليزابيث حين رأت الحراس والبودى جارد. سألت المؤلفة عن سبب وجودهم. لم تعرف المؤلفة الإجابة. سألتها إليزابيث لماذا لا تنقذ نفسها وتترك هذا المكان. لم تعرف المؤلفة مكانا آخر غير بيتها والوطن الذى ولدت فيه قالت المؤلفة لنفسها: «وأين يمكن أن أذهب؟! لا أعرف مكانا آخر. قالت إليزابيث: يمكن أن تذهبى إلى جامعة ديوك، هناك أستاذة تدرس اللغة العربية اسمها ميريام كوك، وهى تدرس رواياتات وكتبك، وسوف ترحب كثيرا بك.

ـ وماذا أفعل فى جامعة ديوك؟

ـ تدرسين رواياتك وكتبك للطلبة والطالبات، إنهم يحبون كتاباتك، وكنت واحدة منهم، وقررت أن أزورك فى أول زيارة لى لمصر.

خرجت إليزابيث من بيت المؤلفة، وأدارت رقم التليفون ليرن فى مكتب الدكتور ميريام كوك فى جامعة ديوك، فى مدينة ديرهام، بولاية نورث كارولينا، على الشاطئ الشرقى الجنوبى لأمريكا الشمالية.

هكذا أصبحت المؤلفة أستاذة زائرة فى جامعة ديوك، تلتقى بالطلبة والطالبات مرتين فى الأسبوع، تدرس تناقش معهم رواياتها ومنها رواية سقوط الإمام. منذ عشرين عاما بدأت هذه الرواية فى خيال المؤلفة. كتبتها أول الأمر على شكل مسرحية. كان «الإمام» بطل المسرحية يظهر

أحيانا على شكل رئيس الدولة«السادات» ، وفى أحيان أخرى يرتدى ثياب الرب الأعلى ويجلس على عرش السماء. لم تكن القوانين تسمح بتجسيد شخصية الرب الأعلى فوق خشبة المسرح. الأنبياء أيضا شخصيات مقدسة لا تظهر صورهم ولا يمكن تجسيدهم فى أعمال مسرحية. شخصية رئيس الدولة تدخل أيضا ضمن الشخصيات المقدسة، وكان السادات يرأس الدولة والحكومة معا والجيش والحزب الحاكم، أيضا والعائلة، أعطى نفسه لقب «رب العائلة» ثم أصبح للحكومة رئيسا آخر يسمونه «رئيس الوزراء» ، وهو شخصية بشرية يخضع للنظام الديمقراطى أو التعددية الحزبية، يمكن أن يتلقى النقد من الأحزاب المعارضة بصفته المسئول عن أخطاء الحكومة وشرورها أما رئيس الدولة فهو غير مسئول عن الشر. إنه مسئول فقط عن الخير مثل الله سبحانه وتعالى. أما الشر فهو مسئولية شخص آخر هو الشيطان، أو إبليس، أو رئيس الحزب المعارض، أو رئيس الحكومة، أو رجل آخر أو امرأة تكتب رأيها بحرية. هذا هو كبش الفداء، الذى يطرد من منصبه أو يذبح أو يهدد بالذبح كما حدث لإسماعيل ابن سيدنا إبراهيم، وستنا حواء التى حملت عبء الخطيئة الكبرى وحدها.

لم يكن لمثل هذه المسرحية أن ترى النور. كتبتها المؤلفة فى ظلمة الليل بالحبر السرى أو الحبر الأبيض. لا يمكن أن تظهر الحروف فوق الورق وإلا أصبحت المؤلفة فى خبر كان. يصدر الحكم بإعدامها والجريمة هنا مضاعفة، تجسيد الرب الأعلى قدس الاقداس على خشبة المسرح؟ هذا أمر لم يحدث فى التاريخ القديم أو الحديث. ربما أمكن تشخيص بعض رؤساء الدول بعد موتهم. لكن شخصية الله سبحانه وتعالى لا يمكن أبدا أن تظهر على المسرح وإلا انهار الكون وسقطت السماء على الأرض.

من شدة الرعب كومت المؤلفة أوراق المسرحية فى صفيحة جاز فارغة وأشعلت فيها النار. ثم جلست إلى مكتبها وبدأت تكتب رواية من وحى المسرحية المحروقة اسمها «سقوط الإمام» فى هذه الرواية لم تظهر شخصية الرب الأعلى إلا من وراء الستار، بل إن حارس الجنة سيدنا رضوان عليه السلام ظهر فى مشهد واحد، وكان مجرد الوسيط بين الإمام الواقف عند باب الجنة والرب الأعلى الذى عرفنا أنه دخل الجنة (دون أن نراه بالطبع).

رغم كل هذه الحرص دخل اسم المؤلفة قائمة الموتى.

جلست فى بيتها تفكر ماذا يمكن أن يحدث لها لو أنها جعلت الرب الأعلى مرئيا. بمعنى آخر ماذا يحدث لها بعد دخولها قائمة الموتى. كانت تعرف أن بعد الموت هناك الجنة أو النار أو اللاشئ. لماذا لا تكتب المسرحية إذن والموت نهاية المطاف؟

أصبحت هذه المسرحية تلح عليها فى النوم واليقظة. أهو إبليس كان يوسوس لها بالمسرحية؟! تريد أيضا أن تجسد هذه الشخصية على الخشبة. يمكن أن تعمل ذلك دون أن تتعرض للموت، وبشرط أن تجعل إبليس هو المسئول عن الشر. ولم يكن فى إمكانها أن تفعل ذلك. رأت المؤلفة فى شخصية إبليس جوانب إيجابية لابد أن تظهر فى المسرحية. كان أكثر الملائكة توحيدا لله. فهو الوحيد الذى رفض أن يركع لغير الله، واعترض على الله حين أمره بالركوع لآدم. هذه الفكرة خطرت للمؤلفة وهى طفلة فى السابعة من عمرها، حين قرأت قصة آدم وحواء فى كتاب الله. كانت الطفلة تكبر بالطبع وتقرأ أكثر وأكثر فى كتب الله الثلاثة. كلما أوغلت فى القراءة تجسدت أمامها شخصيات الأنبياء على رأسهم سيدنا إبراهيم بالطبع، يليه سيدنا موسى، ، ثم سيدنا عيسى، ثم

سيدنا محمد، وسيدنا آدم، وستنا حواء وستنا مريم وفرعون وزوجة فرعون وإبليس والله سبحانه وتعالى الرب الأعلى. عند هذه الشخصية الأخيرة كانت تتوقف عن الكتابة. أربعون عاما مرت من عمرها وهى تكتب، لا تستطيع أبدا أن تقترب من هذه الشخصية، مع أنها الشخصية الرئيسية فى جميع الأحداث هى الأصل والسبب الأول. هى مصدر الأوامر. هى التى تحكم وتوقع العقاب أو الثواب. هى كل شئ وهى فى كل مكان ، ومع ذلك لابد أن تكون مختفية وغير مرئية وغير موجودة أمام الناس. تركت المؤلفة المسرحية وكتبت رواية اسمها براءة إبليس، هكذا دخل اسم المؤلفة فى عدد من قوائم الموت وليس قائمة واحدة.

وفى ليلة الرابع من أكتوبر ١٩٩٦ دعيت المؤلفة إلى منزل الدكتور بروس لورانس أستاذ بالجامعة، ورئيس القسم الدينى، وزوج الدكتورة ميريام كوك. كانت الدعوة تشمل العشاء مع مشاهدة مسرحية يمثلها مجموعة من الطلبة والطالبات. درسوا الدين على يد الدكتور بروس لورانس، وضمن الكتب المقررة عليهم كانت روايتى «سقوط الإمام» وبراءة إبليس ومن هاتين الروايتين استوحى الطلبة والطالبات مسرحيتهم.

قبل بداية المسرحية كان طالب يقوم بدور الراوى، قال أن تجسيد الله أو الرب الأعلى على المسرح كان مستحيلا، ليس خوفا من دخول النار بعد الموت، وإنما هو عجز الخيال البشرى عن تصور الله أو الروح أو الهواء أو اللاشئ داخل جسد مادى من لحم ودم يتحرك فوق المسرح. كيف يكون شكل هذا الجسم؟ كيف يكون حجمه بالنسبة للشخصيات الأخرى. ماذا تكون لون بشرته؟ بيضاء مثل كلينتون رئيس أمريكا أم سوداء مثل الزنوج فى نورث كارولينا وإذا أصبح الله أسود البشرة فماذا يكون لون الشيطان؟! هكذا حذفت شخصية الله من المسرحية، ولم

يتجسد منها شئ فوق الخشبة إلا الصوت. صوت الله فقط سمعناه بصوت أحد الطلبة المختفى وراء جدار.

بعد إنتهاء المسرحية عادت المؤلفة إلى شقتها الصغيرة فى شارع دوجلاس بمدينة ديرهام بولاية نورث كارولينا، كانت الساعة الحادية عشر ليلا. ارتدت قميص النوم إلا أن النوم لم يأت. أشياء تدور فى رأسها مثل خلية نحل. شخصيات فى مسرحيتها القديمة تبعث من الموت. يدبون بأرجلهم على الخشبة، تسمع الدبيب فى رأسها. أخذت حماما ساخنا لتطردهم دون جدوى. لم يكن أمامها إلا أن تنهض أمسكت القلم وأخرجتهم من رأسها إلى الورق. كم ساعة جلستها تكتب تلك الليلة من أكتوبر؟ حين رفعت رأسها من فوق الورق كانت الساعة الواحدة ظهر اليوم التالى ٥ أكتوبر ١٩٩٦ ثلاثة عشر ساعة كتبت فيها المسرحية دون أن تتحرك من مقعدها.

عن شخصيات المسرحية الرئيسية:

١ـ سيدنا موسى: إنه نبى اليهود، يظهر داخل ملابس كاهن يهودى، قصير القامة، نحيف الجسم، عيناه صغيرتان غائرتان وأنفه كبير بارز مقوس قليلا، ظهره محنى قليلا، يتلفت حوله فى قلق وحذر، ويبلغ من العمر خمسين عاما، بشرته سمراء بلون قدماء المصريين، صوته أخنف قليلا، يرتدى حذاء جلديا أسود له كعب سميك، يدق به الأرض أحيانا حين يغضب. لا يبتسم إلا نادرا.

٢ـ سيدنا عيسى: إنه المسيح، نبى المسيحيين، يعتبرونه ابن الله، يظهر بصورته التى تنشر له، ويعرفها الجميع، الشاب الوسيم شعره بنى طويل لحيته طويلة، بشرته بيضاء، ثوبه فضفاض، قدماه حافيتان، ظهره مرفوع، خطوته واسعة سريعة فيها إقدام عدم تردد، صوته قبل خطوته واضح قوى فيه حماسة الشباب.

٣ـ سيدنا محمد: إنه نبى المسلمين، يظهر داخل ملابس شيخ سعودى، طويل القامة، عريض الكتفين، وسيم الوجه، خطوته

ليست سريعة، ثابتة فوق الأرض فيها ثقة. يرتدى خف فى قدمه مثل البدو، له لحية طويلة، يتحدث بصوت هادئ وقور، تعلو ملامحه ابتسامة من يثق فى كلامه وتأثيره على السامعين.

٤ـ سيدنا إبراهيم: هو أبو الأنبياء جميعا، يظهر كرجل عجوز فى السبعين، يرتدى ملابس البدو الرحل، طويل نحيف، لجسمه صلابة النحافة والجفاف، فى صوته شئ من الحدة، يبدو عليه الإعياء والضجر.

٥ـ سيدنا رضوان: حارس الجنة، يشبه سيدنا إبراهيم إلا أنه فى حوالى الأربعين من العمر، له صفات السكرتير الخاص لشخصية كبيرة هامة فهو الشخص الوحيد الذى يسمح لأى أحد بالدخول إلى حيث يكون الله سبحانه وتعالى. إنه حمل وديع رعديد أمام رئيسه الأعلى، وأسد على الآخرين الواقفين عند الباب يطلبون الدخول.

٦ـ ستنا حواء: امرأة شابة، ممشوقة الجسم وسيمة الوجه، خطوتها رشيقة، ترتدى ثوبا واسعا طويلا، شعرها أسود غزير تلفه حول رأسها على شكل ضفيرتين. حافية القدمين، صوتها عذب فيه رقة وقوة.

٧ـ السيدة مريم العذراء: تظهر كما فى صورها فى الكنائس.

٨ ـ بنت الله: فتاة فى الثامنة عشر، تشبه حواء، كأنما هى ابنتها، إلا أن شعرها مقصوص وفى قدميها حذاء يشبه أحذية راقصات البالية تمشى بخفة ورشاقة، قد ترقص أحيانا، ترتدى ثوبا قصيرا حتى الركبتين.

٩ـ إبليس أو الشيطان: شاب فى الثلاثين، شديد الوسامة، والجاذبية، خمرى اللون، شعره أسود غزير، يرتدى قميصا ملوناً وسروالا واسعاً، يمشى على الأرض بخفة ورشاقة، فى قدميه حذاء من الجلد المطاط بدون كعب. صوته جميل، قد يغنى أحيانا ويعزف على آلة موسيقية قديمة تشبه العود.

١٠ـ الله أو «الرب» شيخ وقور جدا فى الستين من العمر، شعره أبيض لحيته طويلة بيضاء، بشرته بيضاء، ملابسه واسعة بيضاء، لا يتحرك إلا قليلا من مكانه الذى يشبه كرسى العرش العظيم، يظهر من وراء ستارة خفيفة شفافة كالدخان بحيث لا نراه جيدا، وصوته منخفض شديد الوقار والبطء، لا يحرك رأسه إلا نادرا بإيماءة خفيفة أو يده يرفعها بكبرياء عظيم وقد يغضب بشدة.

المسرحية

المشهد الأول

المسرح مظلم تماما، صحراء واسعة، سيدنا موسى عليه السلام يمشى فى الظلمة، يظهر الضوء عليه بالتدريج، يبدو عليه الإعياء والقلق، ظهره محنى قليلا كأنما يحمل فوق جسده عبئا ثقيلا. يتوقف يتلفت حوله كأنما فقد معالم الطريق. يجلس ليستريح فوق صخرة رملية. يفتح كيسا به كتاب التوراة وخبز مقدد وجبن. يمضغ على مهل ويخاطب نفسه، بين يديه كتاب التوراة:

سيدنا موسى : مضى وقت طويل منذ التقيت به فوق جبل سيناء، وقد امتثلت أنا وقومى لأوامره بالحرف، كلمته فى التوراة أصبحت هى العليا، قال لنا اقطعوا غرلة الذكر قطعناها، قال لنا اقتلوا أهل كنعان وفلسطين وخذوا الأرض قتلناهم وأخذنا الأرض. قال لنا أرجموا الزانية رجمناها، قال لنا أنا الرب الأعلى مالك السموات والأرض ولا شريك له وإن كان هو معبودكم المقدس العجل قلنا له سمعا وطاعة وحطمنا العجل. قال لنا

أنتم شعبي المختار الوحيد بين شعوب الأرض، قلنا وأنت ربنا المختار الوحيد بين الآلهة.

(يقرقش سيدنا موسى قطعة الخبز المقدد. يبتلع قليلا من الماء من قربة مصنوعة من جلد الماعز. يواصل حديثه لنفسه).

سيدنا موسى: مضى وقت طويل طويل منذ التقيت بك يا رب فوق جبل سيناء. هذا الجبل المقدس جزء من أرضنا الموعودة. أليس كذلك يا رب؟ ألم تقل لنا فى التوراة يا رب أن أرضكم الموعودة تمتد من النيل إلى الفرات؟ لقد وفينا بعهدنا لك، قطعنا غزلة الذكر، جميع رجالنا تجرى لهم عمليات الختان بالقانون، لا أحد يفلت مهما اشتدت الحملات الطبية ضد هذه العملية الضارة، لقد ثبت ضررها طبيا يا رب لكننا نتلقى الأوامر منك وليس من البشر الأطباء أو غير الأطباء، فأنت معبودنا الوحيد إلى الأبد، وفينا لك العهد فلماذا لم توفينا بعهدك؟ أين هذه الأرض الموعودة من النيل إلى الفرات؟ حتى جبل سيناء فقدناه، لم يصبح لنا إلا الأرض فلسطين، وهى ليست كل فلسطين، أجزاء منها يا رب يستولى عليها الفلسطينيون اليوم تحت اسم تنفيذ قرار الأمم المتحدة. هل يعلو قرار الأمم المتحدة على قرارك يا رب؟ لماذا لا نسمع صوتك؟ أيمكن أن ألقاك يا رب كما لقيتك من قبل؟ أنا بحاجة إليك، فقد أوفدنى قومى إليك وأخشى أن يعلنوا العصيان عليك ويعودوا إلى العجل الذهبى، إنهم يحبون

الذهب يا سيدى، ويقولون بالذهب نأخذ ما نريد، ولا نأخذ منك أنت وربك الأعلى إلا الكلام!

لا تؤاخذهم يارب واغفر لهم.

(يواصل سيدنا موسى قرقشة الخبز، يتطلع بعينيه الكليلتين إلى السماء، إلى قمة جبل عال غارق فى الظلام والدخان الأسود يتحرك من وراء الدخان شبح ضخم غامض الملامح. السماء تزمجر بالرعد والبرق، تهبط بعض الأمطار الخفيفة. يلجأ سيدنا موسى إلى كهف مظلم، يرقد داخله يتطلع إلى السماء. يواصل حديثه).

سيدنا موسى: أعرف يارب أنك غاضب على قومك بنى إسرائيل، لقد وقعوا تحت قبضة إبليس، إنه يوسوس لهم بالسلام، يقول لهم أعطوا الأرض مقابل السلام، هل هذا الكلام؟ إبليس وأنت تعرفه يارب، إنه لا يؤمن بكلامك، يقول للناس أنك أنت الذى أمرت بهذه المذابح البشرية من أجل الأرض الموعودة، وأصبحت الناس تنصت لوسوسة إبليس، لقد تعبوا يارب من الحروب المتتالية منذ إنشاء دولة إسرائيل إنهم مستعدون للانسحاب من بعض المدن الصغيرة فى الضفة الغربية مقابل السلام، لكن لا يزال بين قومى رجال مخلصون لك حافظون لعهدك ومنهم ابنك البار بينامين، أعطاه أبوه نتانيا هو اسم النبى بنيامين ليكون مخلصا لقومه إخلاص الأنبياء أى الاستعداد لقتل البشر جميعا من أجل تنفيذ كلمة الرب، إن كلمتك هى العليا، نحن نطيعك يارب ونتلقى منك

الأوامر وليس من الأمم المتحدة أو أى أحد من البشر
وإن كان رئيس الولايات المتحدة بيل كلينتون!

(تهدأ السماء قليلا، وفى الطريق البعيد فى الطرف الآخر من المسرح يظهر سيدنا عيسى عليه السلام يتقدم بخطوات الشاب الممشوق المملوء شوقا لمقابلة أبيه «الرب الأعلى» بعد طول غياب. يتطلع نحو الجبل العالى الغارق فى الظلمة والدخان وشبورة رمادية شبه سوداء. يتوقف قليلا شاخصا بوجهه نحو السماء يحمل فى يده اليسرى، كتاب الإنجيل، يده اليسرى مرفوعة نحو أبيه فوق الجبل).

سيدنا عيسى: يا أبى ألا يرق قلبك لابنك المطيع الذى أراق دمه فوق الصليب من أجل تنفيذ أمرك؟ لماذا تبخل على بهذا اللقاء؟ أريد أن أرى وجهك أليس من حق الابن البار أن يرى أباه؟ ولو مرة واحدة فى حياته أو فى موته؟ لقد جئت يا أبى كل هذا الطريق الطويل الشاق أطلب منك العون. إن قومى يا أبى ضلوا السبيل، أصبحت الكنائس خالية إلا من النسوة والعجائز والأطفال الرجال الأشداء والشباب انصرفوا إلى جمع الأموال. النساء من غير العجائز انضموا إلى حركات التحرير النسوية يسمونها «الفيمنيست» هذه كارثة يا أبى، هؤلاء النساء يؤلفون كتبا خطيرة انتشرت بين الناس. لم يعد أحد يقرأ كتابك الإنجيل، ولم تعد هناك دور نشر متحمسة لإعادة طبعه إلا بعض الدور الصغيرة فى بعض الجامعات، ومن أجل التدريس فقط فى قسم الدين أو قسم التاريخ. تصور يا أبى أن كتابك لم يعد

إلا من مخلفات التاريخ القديم، لا يهتم به إلا الدارسون والنقاد، معظمهم نساء، هلكوا كتابك نقدا وأنت ساكت، هؤلاء النسوة أنت أمرتهم بالصمت لم يكن يطلع لهم صوت، لو أمرتنى أن أعود إليهم سألبى الأمر. جئت أطلب منك العون؟ لماذا لا ترد على يا أبى! آه يا أبتاه! يا أبتاه! إنى أناديك، ابنك المعذب يناديك فهل تسمع النداء؟

(يدب الصمت فى السماء. لا رعد ولا برق لا حركة واحدة لورقة شجرة. الهواء. ساكن السماء زرقاء بلون البحر بلا موجة واحدة. كتلة من الزرقة الصلبة الصماء. الأرض صفراء بلون رمال الصحراء الواسعة الممدودة تحت السماء. الكون كله ساكن سكون الموتى).

(يركع سيدنا عيسى فوق ركبته يمسك رأسه بين يديه وينشج بصوت خافت مكتوم): آه يا أبتى، آه هذا العذاب أقسى من العذاب الذى عشته فوق الصليب، ناديت عليك يا أبى من فوق الصليب فلم ترد على، وها أنت تواصل صمتك غير المفهوم. آه يا أبتى كم أشتاق إليك، وإلى ذراعى أمى، أريد أن أبكى فوق صدرها وأطلب منها المغفرة، كم قسوت إليها. كم تجاهلتها من أجلك يا أبى، مع إنها هى التى ولدتنى وأرضعتنى وحمتنى من أعدائى، هى التى بقيت معى حتى آخر لحظة من حياتى وبعد أن هرب الجميع من حولى، بعد أن تخلى عنى الجميع بما فيهم أنت يا أبى، لماذا تركتنى هكذا وفوق الصليب أنزف الدم

حتى آخر قطرة، آه يا أمي!! يا أماه إغفري ذنوب ابنك، لكني يا أمي لم أكن أدرك وجودك، لم أكن أسمع صوتك، كان أبي يأمرك بالصمت، ويتكلم هو بدلا منك، وكنت أنا صغير السن أسمع كلام أبي، ولا أسمع كلامك، كان يقول لي لا تسمع كلام النسوة، نعم يا أبي أنت قلت لي هذا وأكثر من هذا، ومعي كتابك يشهد على كلامي، هاهو كتابك.

(يمسك سيدنا عيسى الإنجيل بين يديه المتنفضتين بالانفعال، يفرد صفحاته بأصابع طويلة مرتعشة، وتبدأ السماء فى الزمجرة، يسمع صوت الرعد من فوق الجبل، تهبط الأمطار ويلجأ سيدنا عيسى إلى الكهف حماية من المطر، وهناك يجد سيدنا موسى قابعا يحوط ركبتيه بذراعيه ويقرأ فى التوراه. يتعانقان كالأخ يعثر على أخيه).

سيدنا موسى: سمعتك يا أخي عيسى وأنت تطلب مقابلة ربنا الأعلى. هدىء من روعك. خذ إشرب قليلا من الماء (يناوله القربة) أنا أعرف كل شئ عن الكارثة التى تعيشها، وسوف ينصرك الله يا أخي على أعدائك النساء والرجال أيضا، ولكن عليك بالصبر، لقد صبرت قرونا طويلة فلماذا لا تصبر يوما أو يومين، لقد طلبت أنا أيضا مقابلة الرب الأعلى، أرسلت طلبا بالفاكس إلى سيدنا رضوان عليه السلام.

سيدنا عيسى (فى دهشة): بالفاكس؟ أتظن أن هناك فاكس فى الملكوت الأعلى؟

سيدنا موسى: بالطبع يا أخي: إن ربنا يملك شجرة المعرفة كلها أتظن

أنه لا يعرف الفاكس وغير ذلك من اكتشافات البشر؟! عليك يا ابني أن ترسل طلبا للمقابلة بالفاكس وإلا فلن ينظر سيدنا رضوان فى أمرك.

سيدنا عيسى: هل عندك رقم الفاكس؟

سيدنا موسى: نعم، هاهو، (يخرج من بين صفحات التوراة قصاصة ورق صغيرة كتب عليها رقم طويل جدا) ينقله سيدنا عيسى إلى مفكرة صغيرة فى جيبه.

سيدنا موسى: هذا الرقم سري لا تعطيه لأحد، أرسله إلي الله مع الملاك الطاهر وأنا راقد فى الكهف، وقال لى الملاك إن الله يخصك برقمه السرى أنت وبنى إسرائيل لأنكم شعبه المختار.

سيدنا عيسى: أرجوك يا أخي موسى لاداعي لحكاية الشعب المختار هذه، لأن الله هو أبي، وأنا ابن الله وقومي هم شعب الله المختار.

(يشد سيدنا موسى الورقة من يد سيدنا عيسى غاضبا قبل أن ينقل الرقم كله إلى مفكرته).

سيدنا موسى: طيب يا أخي خلي أبوك يعطيك رقمه!

أنت دائما هكذا أنت وقومك تضربون اليد التى تقدم إليكم المساعدة.

سيدنا عيسى (بكبرياء): أي مساعدة؟ نحن الذين نقدم إليكم المساعدات والمعونات. إن دولتكم كلها يا أخي لم تقم إلا على أكتافنا. ألم نمدكم بالأسلحة لتقتلوا أهل فلسطين والعرب؟ حتى السلاح النووى الذى نحرمه

على الجميع إلا أنتم ونحن، وكنتم مشردين فى العالم فجعلناكم دولة مثل الدول الأخرى، رغم أن دولتكم لم تقم إلا على إراقة الدم ولا تزال تريق الدم رغم اعتراضاتنا، ماذا تريدون يا أخ موسى أكثر مما أخذتم؟ أتريدون الأرض الموعودة من النيل إلى الفرات؟! هذا طمع وجشع زائد على الحد!

سيدنا موسى: يا إبنى أنت شاب غرير مغرور تتصور أنك مركز الكون، إن دولتنا إسرائيل يا سيدى قامت بأمر الله وليس بأمر البشر، وإذا كنتم تساعدوننا فهذا من أجل مصالحكم فى الشرق الأوسط، لولا وجودنا فى المنطقة يا أخى لما أصبح لكم وجود فيها. هذا العراك يا إبنى بيننا لا فائدة منه لكم أو لنا. لن يستفيد منه إلا أعداؤنا المسلمون خذ يا إبنى لقمة صغيرة لابد أنك جائع بعد هذا المشوار الطويل.

(يقرقشان معا الخبز المقدد، ويردد سيدنا عيسى آية الإنجيل بصوت خافت: خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين.

فى الطريق البعيد من الطرف الآخر للمسرح يظهر سيدنا محمد يسير بخطوة وئيدة، ينظر أمامه، فى يده كتاب الله القرآن، وفى اليد الأخرى سبحة، يحركها بين أصابعه بهدوء، يتقدم بضع خطوات ثم يتوقف يتفقد الطريق).

سيدنا محمد: تغيرت معالم الطريق منذ سرت فيه آخر مرة. كل شئ يتغير ولا دوام إلا لله سبحانه وتعالى. كان هذا الطريق

يقود إلى المدينة المنورة، وكان هنا كهف دلنى الله إليه، ما أن دخلت الكهف حتى أمر الله العنكبوتة أن تسرع إلى الباب وتنسج فوقه خيوطها. جاء الكفار رأوا خيوط العنكبوت على الباب فأدركوا أن الكهف لم يدخله أحد. ساروا فى طريقهم ما أن اختفوا حتى خرجت من الكهف. هكذا نجانى الله من الموت بسبب تلك العنكبوتة الصغيرة. لولا هذه العنكبوة ما وصلت سالما إلى المدينة المنورة، وما قامت دولة الإسلام، سبحان الله مالك السماوات والأرض لا شريك لك تعرف ما فى الصدور، وتعرف لماذا جئت إليك اليوم يارب أطلب العون، كانت دولة الإسلام والعرب تمتد من بلاد الفرس إلى ما بين النهرين إلى الشام ومصر وبلاد المشرق حتى بلاد المغرب إلى الأندلس فى أسبانيا، لكن أحوال المسلمين ساءت وحكوماتهم فسدت وتقلصت دولة الإسلام ولا تزال تتقلص وأخشى أن تنتهى تماما من فوق الأرض. أصبح المسلمون والعرب فى مؤخرة البلاد، يسمونها البلاد المتخلفة، مع أن حضارة الغرب قامت على حضارتنا، وقد منحت يارب أمتنا العربية خيرات كثيرة، فهى خير أمة أخرجت للناس كما ذكرت فى كتابك الكريم، وأهم هذه الخيرات هو البترول بالطبع، لكن هذا البترول تحول من سلاح فى أيدينا إلى سلاح فى يد أعدائنا، إبليس يوسوس فى آذان الناس ويقول لهم: أين ربكم الأعلى يا معشر المسلمين، لماذا ينتصر عليكم اليهود والنصارى فى كل المعارك. معركة وراء

معركة تنهزمون وتضيع الأرض والمال والبنون، مع أنكم أكثر الناس تمسكا بدينهم، وتمسكا بالأخلاق والفضيلة، ونساؤكم صالحات محجبات، أما النساء النصارى واليهود فهن كاسيات عاريات، أعوذ بالله لم يصل الفساد فى بلادنا إلى هذا الحد وقد جئت إليك اليوم يارب أطلب المشورة فى مشكلة حادة لا تقبل التأجيل. هذه الأسرة المالكة لأرض الحجاز، بنى سعود، هؤلاء اشتد فسادهم فى الأرض، إن ملكهم يطلق على نفسه اسم خادم الحرمين الشريفين إلا أنه لا يخدم إلا نفسه، حتى القبر الذى دفنونى فيه أصبح مهملا، هناك جدار يوشك على السقوط، مع أنه لا يكف عن بناء القصور لنسائه وأولاده، وهو يجمع الأموال من الحجاج لبيت الله الحرام، ومن عوائد البترول، ويودعها باسمه فى بنوك النصارى واليهود. إنه يتفاوض مع اليهود والنصارى سرا يتآمر معهم ضد المسلمين، ثم يذهب إلى الجامع ليصلى دون وضوء، إنه يارب يشوه صورة الإسلام فى العالم، ويقول إنك الذى منعت النساء من قيادة السيارات وأننى قلت فى حديث، وأنا لم أقل هذا، ولم تكن السيارات قد اكتشفت بعد على أيامى، وكانت النساء تركب الإبل، وما الفرق بين الإبل والسيارات يارب؟ على الأقل السيارة لها سقف يحمى المرأة من العواصف والأمطار وقطاع الطرق، لكن الإبل بلا سقف. وقد انتهز إبليس الفرصة وراح يوسوس فى آذان النساء. لكن النساء فى بلادنا لا

ينصتون لوسوسة الشيطان. إنهن صالحات فاضلات ولسن مثل نساء اليهود والنصارى.

المشكلة فى بلادنا يارب هم الملوك، إن الملوك إذا حكموا قرية أفسدوها، وقد زرت ملك السعودية فى نومه وقلت له: إسمع يافهد إن الله ينهاك عن الفساد، أنت تكتنز الذهب الفضة والمسلمون. لكنه فى الصباح غير الحلم، وقال أننى زرته فى المنام لأبلغه أنا راضون عنه وعن أعماله، وأننى قلت له الصلح خير مع بنى إسرائيل، فهم أهل الكتاب وقد أرسل الله التوراة والإنجيل هدى للعالمين. وقد جئت إليك يارب أطلب العون ضد طغيان هذا الملك السعودى. والذى جعل من بلاده قاعدة عسكرية لجيوش الأعداء ضد المسلمين وأخشى على أمتى الانقراض.

(يجلس سيدنا محمد على صخرة صغيرة، يبدو عليه الإعياء من طول الطريق الشاق. يتيمم بالرمال، ثم يقف بين يدى الله يصلى، يركع ويسجد أربع ركعات وسجدات ثم يجلس، يحرك حبات السبحة بين أصابعه وهو صامت شاخص نحو السماء).

(فى الكهف سيدنا عيسى وسيدنا موسى جالسان يتابعان من بعيد سيدنا محمد بعد أن استمعا إلى كل ما قال).

سيدنا موسى: أتصدق أن الله قال لهم أنهم خير أمة أخرجت الناس؟ هذا كذب وافتراء على الله، وانظر ماذا قال عن اليهود والنصارى. هذا الرجل هو العدو الخطير، علينا القضاء عليه قبل أن يقضى علينا.

سيدنا عيسى: يا أخي موسى إهدأ ولا تجعل الغضب يسيطر عليك. إن محمد يعترف بنا وأننا أهل الكتاب، يؤمن أن التوراة والإنجيل هي كتب الله، وهو أفضل من غيره الذين ينكرون التوراه والإنجيل تماما، ويمكن التفاوض معه.

سيدنا موسى: نتفاوض معه؟ على ماذا يا أخ عيسى؟ نحن في غير حاجة إليه ولا إلى قومه المسلمين. إنهم الآن بلا حول ولا قوة. لا أموال عندهم ولا أسلحة ولا علوم ولا تكنولوجيا.

سيدنا عيسى: لكننا في حاجة إليه يا موسى.

سيدنا موسى: ما فائدته؟

سيدنا عيسى: سوف يكون معنا ضد إبليس لاشك.. فأنا أعرف أن إبليس يعرف بلقائنا هنا. لاشئ يخفى عليه. قد يستطيع أيضا أن يحظى بمقابلة أبي. وأنا أعرف أن أبي يحرص على وجود الشيطان دائما. لا يتصور أبي الكون بدون شيطان.

سيدنا موسى: لماذا يا أخي؟

سيدنا عيس: عليك أن تسأله هو هذا السؤال، فهذا الإبليس أنا أتمنى له الموت إلا أنه لا يموت أبدا، إنه يعيش، نحن الذين متنا وشبعنا موتا.

(السماء تبدأ في الزمجرة. في الطريق البعيد يظهر إبليس قادم بحركته الشابة النشيطة. سيدنا محمد ينهي الصلاة حين يبدأ المطر يتساقط فوق رأسه. يلم ملابسه من حوله ويسرع باحثا عن مكان يلجأ إليه. يعثر علي الكهف. يرحب به سيدنا عيسى، وسيدنا موسى يظل صامتا).

سيدنا عيسى: يا أخ محمد، أنت فى أمان هنا مع أخويك عيسى وموسى.

سيدنا محمد: أهلا بك يا أخ عيسى ابن السيدة الطاهرة مريم، لك عندنا معزة كبيرة، وأنت أيضا يا أخ موسى لقد ذكر الله اسمك فى القرآن مائة وثلاثين مرة.

سيدنا موسى: مائة منها لعنات بالطبع.

سيدنا عيسى: انظروا من القادم؟! إنه إبليس!

سيدنا محمد: وهناك امرأتان تقبلان من الطريق الآخر، من هما؟

سيدنا موسى: واحدة منهما تشبه حواء. والأخرى لا أعرفها.

(من الناحية الأخرى للمسرح تظهر بنت الله وحواء، تسيران معا قامتهما متقاربة طويلة ممشوقة، إلا أن وجه بنت الله لفتاة صغيرة فى الثامنة عشر، ووجه حواء امرأة ناضجة شابة فى الأربعين).

(يختبئان وراء شجرة تين شوكي حين يريان إبليس من بعيد. إبليس واقف شاخص إلى الجبل حيث الرب الأعلى المختفي وراء السحب والدخان).

إبليس: أنا خلاص يارب تعبت من الوسوسة فى آذان الناس، قررت أخيرا أن أقدم استقالتي إليك. لقد وجدت عملا آخر يدر على أموالا كثيرة، فهذا العمل الذى أوكلته إلى يارب قد أهلكنى ولم آخذ منه إلا اللعنات لهذا كتبت استقالتي، كان يمكن أن أرسلها إليك بالفاكس، لكنى آثرت المجئ بنفسى إليك، لنتصافح وننسى هذا الماضى البغيض الذى جعلتنى فيه عدوا لك.

(يخرج إبليس من جيبه ورقة يقرأها): أنا الموقع أدناه باسمي إبليس الشيطان، والذى كان فى الأصل «لوسيفر» حامل النور وهو الاسم الذى أعطته لى أمى أعلن أننى أستقيل من المنصب الذى وضعنى فيه الرب الأعلى، وهى استقالة مسببة إن شاء الرب أن يفحص الأسباب، وكل ما ما أطلبه من الله، أن يبحث عن شيطان آخر.

إمضاء لوسيفر

ينادى إبليس: يا أخ رضوان، يا حارس الجنة، بلغ رئيسك الأعلى أننى أريد مقابلته دقائق، أنا أعرف أنه مشغول، وأرى اللمبة الحمراء معلقة على بابه، لكن أخبره أن إبليس الشيطان يطلب لقاءه للمرة الأخير بعد ذلك لن تروا وجهى. هذه استقالتى!

حواء و بنت الله تتوقفان عن السير، يراهما إبليس فيقبل نحوهما مرحبا.

ـ إبليس: أهلا حواء، وأنت لا أعرفك يا فتاتى من أنت؟

بنت الله: أنا بنت الله.

يتلقى إبليس هذا الاسم بدهشة شديدة، لكنه يضحك بشدة ويخبط كفه بجبهته.

إبليس (ضاحكا): هذا أجمل اسم أسمعه، من أعطاك هذا الأسم الجميل يا فتاتى؟

بنت الله: المؤلفة

إبليس: يالها من امرأة! أنا إبليس لم يخطر لى أبدا أن الله

يمكن أن يلد البنات. لقد أعلن فى كتابه التوراة أنه ليس عنده إلا الأولاد الذكور، الذين تزوجوا بنات الناس بعد رأوا أنهن حسنات. هل قرأت هذه الآيه فى التوراة يا فتاتى؟

حواء: إن هذا التاريخ الوارد فى التوراة كله مغلوط، فأنا حواء بلحمها ودمها وأمى ولدتنى فى الحقل وكانت تزرع حين أحست آلام الولادة، فما هذه القصة المغلوطة عن زوجى آدم الذى ولدنى من ضلعه؟! كانت أمى قد زرعت فى وسط الحقل شجرة تفاح، أراد ربك الأعلى أن يستولى على الثمار وحده، تعاون مع زوجى على طردى من الحقل، حرضه على خيانتى مع امرأة أخرى مقابل بعض المال، أشاع أن الشجرة مقدسة، من يأكل منها يموت، أكلت منها كثيرا دون أن يصيبنى شئ، هل يموت أحد من أكل التفاح يا إبليس؟

إبليس: التفاح يا سيدتى ألذ الثمار إنه يشرح القلب ويشفى المرض، وكم تسللت فى الليل وسرقت الثمار من فوق الشجرة دون أن يرانى الرب الأعلى.

(هنا بدأت السماء تزمجر بالبرق والرعد والمطر. وظهر سيدنا رضوان من فوق قمة الجبل، يظهر بالتدريج من وراء السحب والدخان).

سيدنا رضوان: يا أهل الأرض، تعطف جل جلاله ربكم الأعلى وسمح لكم باللقاء معه. ليس عنده وقت كى يقابلكم واحدا واحدا فهل تصعدون جميعا فى وقت واحد؟! وصلتنى أسماءكم كلها بالفاكس، وكان مزاج سيدى رائقا،

كان يشرب الشاى بالنعناع بعد وجبة دسمة من الضأن المشوى، بالمناسبة هل أتيتم بذبائح؟! إن سيدى لا يقبل إلا الضأن، أو الكندوز الصغير أو البتلو، أما الذبائح الأخرى فهو لا يقبلها، ومن يأت بذبائح فليعود من حيث أتى، ليس عندنا وقت لمن يأتون بأياد فارغة!

(يتقدم سيدنا موسى): نعم يا أخ رضوان، أنا جئت بخروف من النوع الذى يحبه سيدك الأعلى.

(يتقدم وراءه سيدنا عيسى): إنه أبى يا أخ رضوان لا يطلب الأب من الابن أى ذبائح.

سيدنا محمد: وفى كتابه القرآن الكريم لم يطلب الله منا أى ذبائح يا أخ رضوان، وها هو الكتاب فى يدى.

حـــواء: وأنا امرأة فقيرة وسيدك الأعلى يقول أنه مع الفقراء.

بنت الله: وهو أبى الإمام تزوج أمى ومعى الدليل المادى.

إبليس: وأنا إبليس يا رضوان لا يمكنك أن تمنعنى من الدخول لا أريد شيئاً إلا الاستقالة من منصبى.

(فى تلك اللحظة يأتى سيدنا إبراهيم بخطى سريعة، يلحق بالموكب الداخل إلى مقابلة الرب الأعلى).

سيدنا إبراهيم: وأنا يا رضوان أبو الأنبياء جميعا وجئت فى مهمة عاجلة أود إنجازها قبل أن أموت.

(يدخل بعد سيدنا إبراهيم عدد من الرجال والنساء والأطفال من الشعب العادى. يدخلون ولا يستطيع سيدنا رضوان أن يغلق الباب أمام أعدادهم الكبيرة).

المشهد الثانى

الرب الأعلى جالس على العرش العالى يشبه عروش الأباطرة، الكرسى الذهبى المذهب والفراش الوثير، والأرائك المريحة تتدلى فوقها عناقيد العنب. عرش فاخر من الأبهة وصاحب العرش يرتدى ملابس الأباطرة من حوله الجنود واقفين صفا صفا. أحد الجنود يمسك مروحة من ريش النعام يهوى بها على رأس صاحب العرش. على البعد هناك بحيرة من الماء وجداول، وأنهر من الخمر وفتيات عذراوات حسناوات جمالهن فائق مثل الحور العين فى الجنة، إلا أننا لا نرى هؤلاء الفتيات إلا من بعيد جدا ومن وراء ستائر شفافة السحب والدخان، وكذلك نرى ثمار الفاكهة حمراء اللون تتدلى من الشجرة الكبيرة.

الأرض مفروشة بسجاد سميك من النوع العجمى، يجلس عليه البشر الذين دخلوا لمقابلة الرب الأعلى، عن يمين العرش يقف سيدنا رضوان الذى يتولى الرد على الأسئلة نيابة عن صاحب العرش، إلا إذا أشار له سيده بيده فيصمت تماما، ويتولى الرب الأعلى الإجابة بنفسه.

الصمت يدب والمشهد فيه رهبة كبيرة. يتربع سيدنا موسى على الأرض فى أدب جم إلى جواره سيدنا عيسى إلى جواره سيدنا محمد، ثم سيدنا إبراهيم. بنت الله وحواء تجلسان فى الناحية الأخرى، إلى

جوارهما إبليس، والإلهة إيزيس، ومريم عذراء، لا يسمع إلا صوت مروحة ريش النعام فى يد الجندى تتحرك برقة تطرى الهواء حول رأس صاحب العرش. ثم يسمع صوت دقات مطرقة، ثلاث دقات، تعلن بدء الجلسة، كأنما هى محكمة.

سيدنا رضوان: من فيكم يريد أن يبدأ، ونرجو الاختصار مع التركيز لأن وقت سيدى الأعلى ضيق.

(يتهامس سيدنا موسى وعيسى ومحمد وإبراهيم).

سيدنا محمد: تقدم يا سيدنا إبراهيم أنت أبونا جميعا ولا يحق للأنبياء أن يتكلموا قبل الأب.

(ينهض سيدنا إبراهيم ويقترب من العرش فى خشوع).

سيدنا إبراهيم: يا سيدى الرب إن ضميرى يعذبنى وأخشى أن أموت قبل أن أفصح عما فى نفسى، لقد فعلت فى حياتى كثيرا من المظالم، وكلها تنفيذا لأوامرك. قتلت ونهبت أراضى الناس دون وجه حق، لكنى أمنت بك وبنيت لك المذبح والبيت، وجعلت سارة زوجى تذبح لك عجلا كلما جئت إلى بيتنا، وتضع لك خبزا من دقيق وسمن ونضع الشحم على النار لتشم منه رائحة الشواء وجعلنا لك بساطا من أبرشيم دقيق الصنعة كما طلبت منا خوانا من خشب الشمشاد وكنت أقف أمامك وأنت تأكل تحت الشجرة، وأتقى لك الحسناوات الحور لأنك كنت تغضب وتقول: مالكم تقربون إلى كل عرجاء وعوراء. نعم يا سيدى

نفذت أوامرك بالحرف وكنت أحيانا أراجعك عن القتل وأسألك أتقتل الآلاف لأن رجلا واحدا منهم لم يعبدك؟ لكنك لم تسمع كلامى، كنت تسمع نفسك فقط، تعبد ذاتك، وتجعلنا عبيدك، تفرض علينا الطاعة العمياء دون سؤال، أعطيت نفسك الحق أن تفعل أى شئ وكان يجب أن تلزم نفسك بالعدل، وتلزمنى بالعدل أنا رسولك إلى الناس، لكنك جعلت منى قاتلا بلا ضمير وخائنا بلا أخلاق، أمرتنى أن ألقى زوجتى الحبيبة هاجر وطفلى إسماعيل فى الصحراء لتأكلهم الضباع أو يموتوا من الجوع والعطش، لم ترحم امرأة فقيرة ومولودها الصغير من أجل مساندتك لسارة زوجتى الأولى، هى التى أشارت على أن أتزوج جاريتها هاجر، قالت لى أنا امرأة عاقر عجوز وأنت فى حاجة إلى نسل يخلفك، ثم نهشتها الغيرة بعد أن تزوجت هاجر وأنجبت ابنى اسماعيل، وقد أمرتنى أن أنفذ رغبة سارة، وألقى هاجر واسماعيل فى العراء، وكنت أعرف أنك ظالم، وأنك تقف بجانب سارة لأنها تملك الكثير من رؤوس الضأن، وتذبح لك حين تأتى إلينا وتخبز الدقيق والسمن تفرش البساط من أبرشيم والخوان من خشب الشمشاد، لكن هاجر الجارية لم تكن تملك شيئا، وقد غضبت عليها لمجرد أنها فقيرة كما غضبت على قابيل ابن أبى الكبير آدم حين قدم لك من ثمار الأرض قربانا، فأشحت عنه بوجهك ونظرت إلى أخيه هابيل الذى قدم لك من

أبكار غنمه ومن سمانها، واغتاظ قابيل وسقط وجهه. يا سيدى أنت زرعت الحقد بين الأخوين الشقيقين لمجرد أن أحدهما يقدم لك الغنم والآخر لا يملك منها شيئا. الإثنان قربا إليك القربان فتقبلت من أحدهما ولم تتقبل من الاخر. قتل الاخ أخاه بسبب ما فعلت يا سيدى. أنت مسئول عن هذه الجريمة لكنك ألصقتها بقابيل الفتى المسكين الذى لم يكن إلا أداة لك، وهذه الأرض الموعودة يا سيدى التى روتها الدماء البريئة، ولم يكف من أجلها سفك الدماء حتى اليوم. هل تتابع يا سيدى أخبار العالم اليوم؟ ألا تؤرقك هذه الدماء المسفوكة باسمك وباسم أرضك الموعودة بإبراهيم ونسله من بنى إسرائيل؟ مقابل ماذا وعدتنى بهذه الأرض يا سيدى؟ أيمكن أن ترد على بكلمة واحدة. قبل أن أموت! أرجوك تكلم، أسعفنى فالعالم كله يأكل وجهى، وضميرى ينخس مثل الإبرة فى صدرى، فأنا لا أعرف ما هو السبب وراء هذه الأرض الموعودة وما هو ذلك العهد الذى كان بيننا يا سيدى؟ أكان عهدا سريا؟ لماذا لا تتكلم؟! هذه محكمة علنية أمام الناس وأنا أريدهم أن يحكموا بيننا بالعدل، من المسئول عن سفك هذه الدماء أنا أم أنت؟ ومقابل ماذا وعدتنى بهذه الأرض، أهى رؤوس الغنم ولحم الضأن المشوى يا سيدى؟!

(هنا يرفع الرب الأعلى يده علامة الاعتراض يبدو على ملامح وجهه

شيئا من الغضب، لكنه غضب محكوم يتناسب مع السيادة العليا).

الرب الأعلى (بغضب بارد): لا ! كفى! أسكتوه!

(يصمت سيدنا إبراهيم راكعا فوق الأرض. يدب الصمت فى المكان لا يسمع إلا صوت مروحة ريشة النعام. أحد الجنود يمسح العرق من فوق جبهة الرب الأعلى بقطعة معقمة من الشاش المغموس فى ماء الكولونيا داخل قنينة من الفضة).

(أحد الموظفين فى البلاط يجرى بسرعة حاملا كتب الله الثلاثة إلى سيدنا رضوان عليه السلام. يفتح رضوان الكتاب الأول وهو التوراة. يشرب قليلا من الماء من إناء بللورى. يتنحنح ثم يقول بصوت رخيم هادئ كصوت القضاة من البشر. فى يده مطرقة لها رأس ذهبى يشبه رأس «الكوبرا» يدق بها على منضدة من الفضة أمامه حين ترى الهمهمة والهسيس بين الناس. فقد دخل إلى القاعة بعض المارة فى الطريق من الفقراء والفقيرات الساعين إلى أعمالهم منهم فلاحون وفلاحات وعمال وعاملات مصانع وجنود وطلبة ومومسات وحلاقين صحة ممن يمارسون عمليات الختان وأطباء ممن يمارسون عمليات الأجهاض وأصحاب بنوك ومرابين وتجار ووزراء فى حكومات ورؤساء دول وغير ذلك من المهن المعروفة المختلفة. كلهم جالسون على البساط العجمى فوق الأرض. قد نلمح بعض الوجوه المعروفة فى التاريخ من كبار الفنانين أو الفنانات من الأموات أو الأحياء وكذلك ملوك وأباطرة ورؤساء دول من الموتى ومن المعاصرين. منهم الملك فاروق ملك مصر. أنور السادات. أبو الهول. رونالد ريجان. جورج بوش. كليوباترة وأنطونيوس، نفرتينى واخناتون. أم كلثوم مطربة الشرق. رابعة العدوية كارل ماركس. سيجمون فرويد. وغيرهم من الرجال والنساء المعروفين

فى الشرق والغرب. نرى أيضا «حواء» وبنت الله وسط هذه الوجوه، وهما جالستان متجاورتان ضمن الصفوف الأمامية. تسرى الهمهمة بين الناس، تقرب حواء رأسها من بنت الله).

حواء: أتعرفين مقابل ماذا وعده بالأرض؟

بنت الله: مقابل ماذا؟

يدق سيدنا رضوان بالمطرقة لإيقاف الهمهمة بين الناس.

يدب الصمت.

سيدنا رضوان: سيدى الأعلى قد أنابنى عنه لأتولى عنه الرد على السيد إبراهيم، وحسب توجيهات السيد الرئيس سأقرأ عليكم من كتابه الكريم التوراه النص الخاص بالأرض الموعودة للسيد إبراهيم ذلك أن هذه المحكمة هى ساحة العدل الأعلى لا تعلوها ساحة ولا يمكن الحكم دون الرجوع إلى النصوص المقدسة فى الكتب السماوية.

(يرتدى سيدنا رضوان نظارة النظر، لها سلسلة ذهبية تتدلى فوق صدره، يشرب قليلا من الماء).

سيدنا رضوان: (يفر الصفحات فى كتاب التوراة): نعم أيها السادة، إنى أبحث عن هذه الآية الخاصة بأرض الميعاد، نعم، ها هى: «ويقول الرب لإبراهيم: أنا الرب أعطيك هذه الأرض لترثها لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات».

يمد سيدنا رضوان يده إلى الكوب ويشرب قليلا من الماء. أحد

الوجوه فى القاعة من الجمهور يضع له عين واحدة والعين الأخرى مغطاة بغطاء أسود مستديرا يرتدى بدلة عسكرية. يفرك يديه فى سعادة ويهمس فى أذن جاره، له وجه بنيامين نيتانياهو رئيس حكومة إسرائيل.

الرجل ذو العين الواحدة (فى سعادة): أرأيت يا بنيامين! أمامنا حرب كبيرة لإبادة شعب مصر وشعب العراق! كلمة الرب الأعلى مقدسة فى كتابه التوراة، ونحن يا سيدى قصرنا فى حق الرب ولم نصل إلا نهر الأردن مع أنه أعطانا الأرض من النيل إلى الفرات!

بنيامين نيتانياهو (يهز رأسه بالإيجاب): نعم نعم معك حق ياشيمون.

(فى الصف أمام بنيامين نيتانياهو يجلس رجل أمريكى له وجه بيل كلينتون رئيس الولايات المتحدة. يستدير بنصف رأسه إلى الوراء ويخاطب بنيامين بصوت هامس).

بيل كلينتون: أرجوك يا بنيامين، أرجو أن تؤجل كل شئ أسبوعين فقط حتى أنتهى من المعركة الانتخابية، هذا الرجل «بوب دول» لابد من الانتصار عليه وإن ساعدتنى اليوم أساعدك غدا ونحن إخوة.

(يدق سيدنا رضوان بالمطرقة فيسود الصمت فى القاعة. يرتفع صوت فتاة صغيرة من وسط الناس).

صوت الفتاة: هذه الأرض كلها من النيل إلى الفرات أعطاها ربنا لبنى إسرائيل. لماذا؟

(ترتفع أصوات فتيات وأطفال ونساء ورجال فى القاعة الكبيرة ويقولون فى نفس واحد).

صوت الجمهور: لماذا؟ لماذا؟ ليه؟ ليه!

(يدق سيدنا رضوان بالمطرقة بشدة).

سيدنا رضوان: لأنهم شعب الله المختار، وها هو سيدى الأعلى ينص على ذلك فى كتابه التوراة.

(يرفع سيدنا محمد يده وهو جالس فى الصف الأمامى مع الأنبياء والشخصيات الهامة. ينهض واقفا ليتكلم دون أن يأذن له سيدنا رضوان بالكلام).

سيدنا محمد: يا سيدنا رضوان شعب الله المختار ليس هم اليهود، نحن العرب خير أمة أخرجت للناس، هذا هو النص فى القرآن الكريم.

سيدنا رضوان يترك التوراه، يمسك كتاب القرآن، يفر الصفحات يتوقف عند صفحة يقرأ منها.

سيدنا رضوان: لا يا سيد محمد، أنظر فى القرآن تجد أن الله يقول لبنى إسرائيل إنى فضلتكم على العالمين. لم يقلها مرة واحدة بل عدة مرات، راجع القرآن يا سيد محمد.

سيدنا محمد: نعم يا أخ رضوان، أعرف أن الله ذكر ذلك فى القرآن، فإنى بنى إسرائيل من أهل الكتاب مثل النصارى أنهم مؤمنون بالله وليسوا مثل الكفرة عبدة الأوثان. وقد طلب الله منا أن نؤمن بكتبه الثلاثة أنزلها جميعا هدى ونورا للعالمين، لكنى أنا آخر الأنبياء والقرآن هو كلمة الله النهائية وقال الله لنا نحن خير أمة أخرجت للناس، وقد تمرد اليهود كثيرا على الله سبحانه وتعالى وعبدوا آلهة أخرين منهم العجل.

(تسرى ضحكات مكتومة فى القاعة بين الجمهور، خاصة بين الأطفال وتلاميذ المدارس والتلميذات، وكان لهم ركن بعيد فى القاعة.

أحد الأطفال (يضحك بشدة): العجل؟ معقول؟!

(سيدنا رضوان يدق بالمطرقة).

سيدنا رضوان: ياسيد محمد أنا لم أعطيك الإذن بالكلام، أرجوك انتظر دورك. الكلمة الآن للسيد موسى تفضل يا سيد موسى:

(قبل أن يتكلم سيدنا موسى ترفع «بنت الله» يدها وتتكلم بعد أن تنهض من مكانها).

بنت الله: لم نعرف الرد يا سيدنا رضوان على حكاية هاجر وطفلها إسماعيل، وأيضا حكاية الأرض من النيل إلى الفرات. ولماذا أمر الله بنى إسرائيل أن يقتلوا كل السجينات غير العذراوات من شعب كنعان وفلسطين ثم يوزعوا السجينات العذراوات على الجنود لاغتصابهن جنسيا؟!

(يدب الصمت فى القاعة. يطرق الجمهور فى حياء. تسرى همهمة وهسيس بين الجالسين والجالسات. تنهض حواء وتتكلم).

حـــــواء: يا سيدى رضوان هذا الطفل إسماعيل وأمه هاجر لقيا الأهوال فى الصحراء حتى وصلا المدينة واشتغلت هاجر فى الأرض وشقيت لتعول ابنها، لكن ما إن كبر الابن حتى عاد إليه أبوه إبراهيم يريد انتزاعه من أمه بالقوة، رفضت الأم ورفض الابن، فإذا بربك الأعلى

يأمر إبراهيم أن يذبح ابنه. ألم تكن عندك وسيلة لإرضاء ربك يا إبراهيم سوى ذبح ابنك؟

(يرفع سيدنا إبراهيم رأسه المطرق بين ركبتيه. تبدو عليه الشيخوخة والإعياء).

سيدنا إبراهيم: كان الرب يطلب منا ذبائح. فى كل مرة نطلب منه مساعدة لابد أن نقدم له ذبيحة كان الرب يبتهج برائحة لحم الضحية. كان الفقراء الذين لا يملكون الأغنام والعجول يذبحون أولادهم وبناتهم خشية غضب الرب. ثم أصبح الكبش أو الخروف يذبح بدلا من الابن أو الابنة. وقد أمرنى الله بذبح ابنى إسماعيل. سألته لماذا يارب؟ هذا كبش أقدمه لك بدلا من ابنى. غضب الله غضبا شديدا وقال لى ألا تعطينى يا إبراهيم وأنا ربك الأعلى الذى أعطاك الأرض؟!

وخشيت أن يأخذ منى الأرض بل خشيت أن يقتل ابنى إذا أنا لم أذبحه.

(يمسك سيدنا إبراهيم رأسه بين يديه ويبكى بصوت مكتوم).

سيدنا إبراهيم: آه يا ربى كم كنت قاسيا قلبك من حجر لم تكن ترحم دموعى يارب. أرجوك يا سيد رضوان إسأله لماذا كان قاسيا إلى هذا الحد؟! لماذا لم يكن يهدأ إلا حين يرى الدم المراق؟ إن زوجة موسى ياسيد رضوان رأت الرب غاضبا يريد قتل زوجها موسى. مع أن موسى كان مطيعا للرب أكثر منى، ولم يكن يسأله مثلى أى سؤال. زوجة والرب غاضب تريد أن تحمى زوجها. قال لها موسى إن ربنا عصبى المزاج لابد له أن يرى الدم

ليهدأ، ولم يكن مع الزوجة فى تلك اللحظة أى خروف أو عجل أو حتى فرخ صغير، فأمسكت ابنها وقطعت غرلته، سال الدم وتراجع الرب عن قتل موسى وهدأ.

بنت الله: عملية الختان جريمة فى حق الإنسان يا سيدنا رضوان أرجوك أن تسأل سيدك الأعلى لماذا فرضها على شعبه المختار وقال إنها مقابل الأرض، هو يعدهم بالأرض وهم يعدونه بالختان، ما علاقة الأرض بقطع جزء من جسم الإنسان؟!

سيدنا رضوان (فى ضيق): أنا لم أذن لك بالكلام، أرجوكى انتظرى دورك.

(هنا يرفع الرب الأعلى يده بحركة بطيئة، يشير إلى سيدنا رضوان بالسكوت. ثم يتكلم هو بصوت يشبه صوت الرعد الخافت له نبرة معدنية غير بشرية).

الرب الأعلى: الختان عملية لإثبات الطاعة لى والخضوع إنها واجبة على كل عبيدى.

(يدب الصمت لحظة، ثم تبدأ الهمهمة. أكثر الحاضرين لا يقتنعون بالإجابة. أصوات زمجرة بين الناس. خاصة الأطفال الذكور. أحدهم يبكى بصوت مكتوم ويخفى وجهه بيديه. الطفل إلى جواره يهمس فى أذن الطفل الآخر).

الطفل: حلاق الصحة طاهره بالموس وقطع الرأس كلها مثل الجلد بس!

الطفل الآخر: الجرح بتاعى قعد ينزف وكنت هاموت ونمت فى السرير أسبوعين مش قادر أمشى.

(سيدنا رضوان يدق بالمطرقة فيسود الهدوء).

بنت الله: أتقطع أجزاء من أجسام الأطفال لمجرد إثبات الطاعة والخضوع؟! ألهذا الحد تبلغ عبادة الذات ياربى؟

يسود بعض الغضب فى القاعة. يدق سيدنا رضوان على المطرقة. يتحرك بعض الجنود المسلحين لحفظ النظام. يعود الهدوء والسكون.

سيدنا إبراهيم: نحن يا رب نعبدك ونصلى لك وأنت لا تعبد أحدا، أنت تعبد ذاتك وهذا حقك يارب، ومن حقك أن تفعل ما تشاء دون أن يسألك أحد، لكن إذا أعطيت نفسك هذا الحق فلابد أن تلزمنا بالعدل لكنك أمرتنا بالقتل والخيانة الزوجية. إذا كنت ستحرقنى فى النار يا سيدى إحرقنى فهى أفضل لى من هذه النار التى تنهش قلبى وضميرى.

يسقط سيدنا إبراهيم مغشيا عليه، يحوطه بعض الجنود يحملونه خارج القاعة. يسود الهرج لكن النظام يعود مع دقات المطرقة.

سيدنا رضوان: الكلمة الآن للسيد موسى.

(كان سيدنا موسى جالسا مطرقا حزينا، يرفع رأسه فى بطء وإعياء، ينهض فى شئ من التثاقل والتردد. يتلعثم قليلا فى الكلام، يختار كلماته بحذر شديد).

سيدنا موسى: يا سيدنا رضوان أنا جئت فى الأصل لأسأل الله عن

وعده لنا بالأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات وأنه لم يحقق لنا إلا الأرض فلسطين ليس كلها وهناك أجزاء لازلنا نتقاتل من أجلها كل يوم، ولا تكف الحرب التى نالنا منها الكثير، والتى لم يكن لنا أن ننتصر فيها على جيوش العرب والمسلمين لولا عون الله ربنا الكريم، والمعونات العسكرية والمالية من الدول الصديقة والشعوب الطيبة المؤمنة بالكتاب المقدس وهو يجمع العهد القديم والعهد الجديد وكلاهما عهود الله ربنا العظيم، والله إذا وعد وفى بالعهد وإلا فما الفرق بين عهد الله وعهد البشر، لكن كلام أبى إبراهيم قد فتح عينى على أشياء لم أعرفها وذكرنى بمآسى عشتها أنا وزوجتى، وكنت أطيعه طاعة عمياء بلا سؤال، وقد أمرنى الله أن أعود إلى مصر لأظهر سحرى أمام فرعون، وبينما أنا ذاهب إليه فى الليل لأنفذ أمر ربى إذا بربى يحاول قتلى فى الظلمة، ولم أعرف لماذا يقتلنى من وراء ظهرى وأنا أنفذ أوامره.

(يحرك الرب الأعلى يده فى غضب مشيرا إلى سيدنا رضوان. يتوقف سيدنا موسى عن الكلام).

الرب الأعلى: يا موسى أنت أغضبتنى لأنك كنت تناقشنى وحاولت الهرب وعدم تنفيذ أمرى، ثم أنا يا موسى ربك الأعلى أنا خلقتك وأعطيتك الحياة بإرادتى الحرة ومن حقى أن آخذ حياتك حين أشاء!

سيدنا رضوان: هذا حق الله ربنا الأعلى يا سيد موسى.

سيدنا موسى: سمعا وطاعة يا سيدى، هذه مرة واحدة حاولت فيها الهرب لأن فرعون كاد يقتلنى.

الرب الأعلى: وماذا فعلت بفرعون يا موسى بسبب ذلك؟ ألم أنتقم لك منه شر انتقام ليس منه فقط ولكن من الجيش المصرى كله الذى أغرقته هو وفرعون فى البحر، بل انتقمت أيضا من الشعب المصرى كله من أجلك يا موسى أنت وقومك إقرأ يا رضوان آياتى على الناس لعلهم يتذكرون.

سيدنا رضوان (يقرأ من كتاب الله): وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين».. صدق الله العظيم.

الرب الأعلى: إقرأ عليهم يا رضوان ماذا فعلت بالشعب المصرى.

سيدنا رضوان: (يقرأ): «فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين». صدق الله العظيم.

الرب الأعلى: هذه آياتى فى القرآن الذى أنزلته على المسلمين، ذكرت اسمك يا موسى فى هذا الكتاب مائة وعشرين مرة وكم مرة يا رضوان ذكرت بنى إسرائيل؟ إقرأ عليهم يا رضوان لعلهم يتذكرون.

سيدنا رضوان (يقرأ): «ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين».« يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين». صدق الله العظيم.

الرب الأعلى: كم مرة يا رضوان كررت هذا الكلام؟

سيدنا رضوان: كثير يا سيدى. كثيرا وهو مدون هنا فى القرآن الكريم.

سيدنا موسى: ياربنا العظيم أنا لا أنكر..

الرب الأعلى (مقاطعا): كيف تنكر يا موسى وأنا لم أكف عن ذكرك أنت وقومك. حتى فى الكتاب الذى أنزلته للمسلمين، وفرضت على المسلمين أن يؤمنوا بك نبيا ورسولا من عندى ويؤمنوا بالتوراة والإنجيل كما يؤمنون بالقرآن.

سيدنا موسى: يا ربنا العظيم أنا لا أنكر.

الرب الأعلى (مقاطعا): أسكت يا موسى، لا أريد أن أسمع صوتك! أهكذا تنقاد بسهولة لهؤلاء الآخرين الذين كفروا بنعمتى وتبعوا الشيطان إبليس؟!

سيدنا موسى: يا ربنا العظيم أنا..

الرب الأعلى (مقاطعا): أسكت تماما والا سحبت منكم الأرض التى أخذتموها من شعب فلسطين، ثم لماذا تأخذون هضبة الجولان أيضا فى سوريا؟ هل عهدى لكم يشمل أى أرض فى سوريا؟ لماذا تطمعون أيضا فى نهر الأردن؟ هل ذكرت نهر الأردن فى التوراة يا رضوان؟

سيدنا رضوان: لا يا سيدى، لم يرد نهر الأردن ولا الجولان. فقط نهر النيل ونهر الفرات.

الرب الأعلى: من عليه الدور الآن أريد أن أنتهى بسرعة من هذه المهزلة، إنها لمهزلة يا رضوان أن أجلس هنا لأستمع إلى هذا الكلام الفارغ، أهذه نتيجة إيمانى بالديمقراطية يا

رضوان كما إن هذه المخلوقات التي خلقتها من الطين لا يمكن أن يكون عندها عـــقل ولابد أن تحكم بالديكتـاتورية والبطش! إنهم البـشـر يخـافـون ولا يختشون.

سيدنا رضوان: اللى اختشوا ماتوا يا ربنا العظيم، الدور الآن على السيد عيسى ابن مريم.

(يتقدم سيدنا عيسى بحماس الشباب والعاطفة فاتحا ذراعيه لكن الإله الأب الجالس على العرش يرمقه ببرود شديد. يكتفى سيدنا عيسى بقبلة يطبعها على خد أبيه، الذى تتقلص عضلات وجهه علامة الضيق، ثم يخرج منديلا حريريا من جيبه يمسح عن وجهه القبلة. كأنما هى بصقة. سيدنا عيسى يتماسك بعد أن يزول حماسه).

سيدنا عيسى: يا أبى لا أعرف لماذا تنكرنى الآن، وها هى أمى تجلس وسط الناس.

(يتلفت سيدنا عيسى إلى الجمهور يبحث عن وجه أمه السيدة مريم عليها السلام. يظهر وجه الأم مريم العذراء بصورتها المعلقة فى الكنائس تحمل طفلها عيسى المسيح، إلى جوارها صورة الإلهة المصرية القديمة إيزيس تحمل طفلها حورس. الصورتان متشابهتان إلى حد كبير، والطفلين متشابهين، إلا أن إيزيس تحمل فوق رأسها الشمس، ومريم العذراء تحمل فوق رأسها تاج الألوهية.

مريم العذراء: إنه أبوك يا إبنى وقد جاءنى فى ظلمة الليل يرتدى ثوب الملاك. كان أبى رجلا يحترمه الجميع، وكانت أمى

عاقر دعت الله أن يرزقها بطفل تهبه لخدمة الله فى المعبد. حبلت أمى وولدتنى بنتا لكنها نفذت وعدها لله، وهبتنى لخدمة الله فى المعبد. وفى ليلة وأنا غارقة فى العبادة جاء الملاك وفعل بى ما يفعله الزوج بزوجته. لما رآنى مذعورة أرتجف هدأ روعى وقال إنه روح الله أرسله إلى لأحبل بابنه الذى سيكون نبيا. لكن الذعر غلبنى فهربت من المعبد، وهربت من قريتى «ندرت» وعشت فى منزل مهجور حتى جاءنى المخاض وأنا راقدة تحت النخلة. كم تعذبت يا ابنى وأنا أهرب بك من قرية إلى قرية ومن بلد إلى بلد. الناس أكلت وجهى ووجه أبى يقولون لى: يا بنت هارون ما كان أبوك إمرئ سوء وما كانت أمك بغيا ولم يكن عندى أى رد. صمت عن الكلام حتى تكلمت أنت يا ابنى.

سيدنا عيسى: نعم يا أمى وكنت أخاطب الناس أو أخاطب أبى، أهملتك يا أمى ولم أخاطبك، حتى وأنا فوق الصليب رأيتك إلى جوارى تبكين لكنى تجاهلت وجودك ودموعك ورحت أخاطب أبى وأناديه. كان المجتمع يفرض على ذلك يا أمى فهو مجتمع أبوى لا يحترم إلا الأب، مجتمع لا يحترم النساء يا أمى، وقد حاولت أن أنصف النساء لكنى فشلت، كان الرجال ينتهكون جسد المرأة ثم يقولون عنها بغى، يرجمونها بالأحجار حتى تموت، وقلت لهم: من ليس منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر.

مريم العذراء: نعم يا ابنى قلت ذلك وأكثر، لكن أبوك تخلى عنك وتركك لهؤلاء الرجال الفاسقين حتى دقوك بالمسامير فوق الصليب وقتلوك، آه يا ابنى كم انفطر قلبى عليك وأنت شاب صغير وأنت طفل رضيع بدون أب.

(صوت مريم العذراء ينشج بالبكاء المكتوم وتكف عن الكلام).

(حواء إلى جوارها تربت على كتفها.

سيدنا عيسى: يا أبى أنا جئت إليك لتقول شيئا يصحح ما جاء فى الإنجيل من روايات وقصص لا يصدقها عقل، خصوصا هذه القصص عن النساء والزانية الكبرى التى تركب الشيطان وتتهكم عليك حتى ضربتها بالسيف وساح دمها فى السماء. من هى يا أبى هذه المرأة، لأن النساء «الفيمينست» فى عالم اليوم لا يكفون عن الأسئلة، وقد درسوا التاريخ القديم فى مصر وبابل القديمة وأنت تقول أن بابل هى المرأة الزانية، فكيف تكون المدينة امرأة زانية؟ النساء الفيمينست يا أبى يقولون أن فى بابل كانت تعيش الأم الكبرى، الإلهة الأنثى القديمة التى ولدت آدم وحواء، ومنها جاءت البشرية كلها. لكنك قتلت الأم الكبرى، إمرأة بابل، وأخذت منها عرش المدينة، وجعلتها زانية مخيفة تركب الشيطان، وأكثر ما كان يخيفك هو برج بابل، لقد أفزعك هذا البرج وأمرت بهدمه حتى تهدم عمل الناس، وبلبلت ألسنتهم حتى لا يفهم بعضهم بعضا ويتقاتلون وقلبت التاريخ رأسا على

عقب، جعلت آدم الرجل يلد من ضلعه حتى تنكر وجود الأم الأولى فى التاريخ، وعاقبت حواء وحملتها وزر الخطيئة الأولى، وشرعت الحروب بلا سبب إلا عبادة ذاتك واتخذك اليهود سببا لإبادة الشعب الفلسطينى والحروب الصليبية تمت تحت اسمك والحروب الطائفية وحروب الاستعمار القديم والجديد كلها تتم تحت اسمك، حتى جورج بوش حمل الإنجيل فى يده وهو يعلن الحرب فى الخليج ولم تكن هى إلا إحدى حروب البترول التى لم تكف حتى اليوم. إن القانون الدولى اليوم ينص على أن الأرض ومواردها الطبيعية هى ملك للشعب الذى يعيش عليها، فكيف يكون قانون البشر أعدل من قانونك يا أبى، وأنت الله، المفروض أن قانون الله هو أعدل من قوانين البشر! والقانون الدولى فى الأمم المتحدة ينص على أن المرأة مساوية للرجل ولها جميع حقوق الإنسان بما فى ذلك امتلاكها لجسمها وأنت جعلت الرجل مسيطرا على المرأة يسودها ويملك جسدها فأين العدل أين العدل يا أبى الذى جعلتنى أموت فوق الصليب من أجلك!

(سيدنا عيسى راكعا يمسك رأسه بيديه ويجهش ببكاء مكتوم. الصمت يدب فى القاعة لا يسمع إلا مروحة ريش النعام، والجندى يمسح العرق عن جبهة الرب الأعلى. يدفعه الرب بيده غاضبا. يتراجع الجندى إلى الوراء فى خشوع).

الرب الأعلى (بصوت حزين): يا إبنى العدل يختلف من زمن إلى زمن، لا يمكن أن نقارن العدالة اليوم بالعدالة منذ عشرين قرن. ما تعتبره ظلما اليوم ربما كان عدلا فى ذلك البلد أو تلك المدينة إن الأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان يا ابنى.

(تسرى همهمة فى القاعة ويرفع بعض الناس أياديهم طلبا للكلام. يدق سيدنا رضوان المطرقة ترفع بنت الله يدها، يتجاهلها سيدنا رضوان).

سيدنا رضوان: الكلمة حتى الآن للسيد عيسى أم أنك انتهيت من الكلام؟ هل عندك أقوال أخرى؟

(يرفع سيدنا عيسى رأسه والدموع فى عينيه).

سيدنا عيسى: لكنك يا أبى تقول أن أحكامك ثابتة خالدة لا تتغير بالزمان أو المكان؟

الرب الأعلى: عندى يا إبنى أحكام ثابتة لا تتغير وعندى أحكام يمكن أن تتغير وعندى أيضا فى كتبى الثلاثة قصصا وأحداثا حقيقية وقعت فى حياة الناس، وعندى أيضا قصصا رمزية مثلا برج بابل كان رمزا للفساد فى مدينة بابل ولذلك أمرت بهدمه، لكنى لم أهدم برج إيفل فى باريس، ولا الهرم الأكبر فى مصر، ولا ناطحات السحاب فى أمريكا. وكلها أعلى من برج بابل!

سيدنا عيسى: لكن يا أبى كيف فى كتبك نعرف القصص الحقيقية من القصص الرمزية أو الأحكام الخالدة الثابتة من الأحكام المتغيرة.

الرب الأعلى: هذه هى مهمة المفسرين من البشر.

سيدنا عيسى: إذن لا يمكن أن نفهم كلمتك إلا بالتفسيرات البشرية وكلها متضاربة ومختلفة. أن يفسر البشر كلمة الله يعنى أنهم أقدر على الوضوح من الله وهذا غير جائز يا أبى. أن تحتمل كلمة الله أكثر من معنى يعنى أنها ليست كلمة الله. يا أبى تضع على البشر عبئا كبيرا لاختيار الثابت من المتغير والحقيقى من الرمزى ولهذا يختلف المفسرون ويتقاتلون وتسفك الدماء وكل منهم يدعى أنه يعبر عن كلمتك وعلى هذا لا يمكن أن تكون كلمتك مرجعا سليما لأحد. إن عقل البشر أقل من عقلك وقد نغفر لهم الغموض أو القصور عن الشرح لكن عقل الله هو العقل الأكبر لذلك لابد أن تكون كلمة الله أوضح من كلمة البشر.

(يدق سيدنا رضوان بالمطرقة)

سيدنا رضوان: انتهى وقتك يا سيد عيسى، أنت أخذت نصيب غيرك فى الكلام.

سيدنا عيسى: أنا متأسف ولكن عندى سؤال أخير يا أبى، هل أنت خلقت الإنسان قبل الحيوان أم الحيوان قبل الإنسان. نحن لا نعرف لأن أقوالك فى كتبك متضاربة. ولماذا ترتدى جسد رجل؟ وهل كنت موجودا قبل أن تخلق هذا الكون؟ أين كنت؟ فى كون آخر؟ من الذى خلق هذا الكون الآخر؟! أكوان أخرى كثيرة اكتشفت اليوم ومجموعات شمسية أكبر من الشمس والقمر الذى

تحدثت عنهما فى كتبك، نحن فى حيرة يا أبى!

الرب الأعلى: عقل الإنسان يا ابنى قاصر وعاجز عن تصور وجودى خارج الزمان والمكان، أنا بالطبع خارج الزمان والمكان وخارج جميع هذه الأكوان المكتشفة والتى لم تكتشف بعد: هذا التصور فوق عقل البشر لكن الملايين فى العالم حتى اليوم يؤمنون أننى خلقت العالم وكنت موجودا قبل العالم فلماذا يؤمن بى الملايين حتى اليوم يا ابنى؟

سيدنا عيسى: لا أعرف يا أبى الإجابة

(يدب الصمت فى القاعة. الجميع يفكرون بعمق. لحظة من الصمت الكامل. حتى المروحة توقفت فى يد الجندى. يبدو على الرب الأعلى الانتصار والزهو.

ترفع بنت الله يدها تطلب الكلمة. يمنعها سيدنا رضوان).

سيدنا رضوان: الدور ليس عليك يا أنستى.

بنت الله: الملايين يؤمنون لأنهم يخافون من العقاب فى الدنيا والآخرة والحرق فى نار جهنم أو القتل والطرد من أرضهم لأنهم لا يطيعون الله أو الإمام أو مندوب الله على الأرض إن الملايين فى ألمانيا آمنوا بهتلر والنازى والملايين فى إنجلترا آمنوا بتاتشر، والملايين فى إسرائيل آمنوا بجولدا مائير وبنيامين نتانياهو والملايين فى أمريكا آمنوا بجورج بوش والملايين فى العراق آمنوا بصدام حسين، والملايين فى السعودية آمنوا بالملك فهد،

والملايين فى مصر آمنوا بالسادات، فى كل بلاد العالم يؤمن الملايين بالحكام السفاحين خوفا من التعذيب والقتل والسجون أو خوفا من الاتهام بالكفر أو الإلحاد أو الشيوعية أو الإباحية أو الفيمينيزم. إن جميع الحكام فى العالم يعلنون الحروب حاملين التوراة أو الإنجيل أو القرآن، إنهم يا سيدى يحملون كتبك ويحاربون باسمك من أفريقيا الجنوبية إلى اسرائيل، من آسيا إلى أمريكا اللاتينية، يا سيدى أنت جعلت حرب الاغتصاب مقدسة وإذا قامت الحرب النووية فى العالم فسوف تقوم تحت اسمك.

(سيدنا رضوان يدق بشدة على المنضدة بالمطرقة).

سيدنا رضوان: أرجو منك. عدم الكلام وإلا أخرجتك بالقوة خارج القاعة!

حواء: دعها تتكلم نحن فى قاعة ديمقراطية!

مريم العذراء: دعها تتكلم إنها تعبر عن رأى الأغلبية فى هذه القاعة الأغلبية الصامتة.

(تسرى الهمهمة فى القاعة. ترتفع بعض أصوات النساء والتلاميذ الصغار والتلميذات وبعض الشباب من الرجال).

صوت المجموعة: دعها تتكلم يا سيد رضوان، نحن نضم صوتنا إلى صوتها.

سيدنا رضوان: يا حضرات السادة والسيدات والآنسات إن الوقت ضيق أو انتهى ولم يتحدث بعد السيد محمد وهذه الآنسة

تأخذ الوقت من السيد محمد. تفضل يا سيد محمد.

ينهض سيدنا محمد ويسير بضع خطوات إلى الأمام بوقار وهدوء.

سيدنا محمد: أولا أود أن أشكر مولانا وسيدنا خالقنا وخالق هذا الكون على سعة صدره ولأنه جلس كل هذا الوقت رغم مشاغله الكثيرة واستمع إلى كل هذه الآراء المتعددة دون أن يغضب وفى مقدوره لو شاء سبحانه وتعالى أن يحول هذه القاعة إلى نار الحميم لكنه هو الرحمن الرحيم الذى يشملنا برحمته وقلبه الكبير، وقد جئت يا سيدى ومولاى لأشكو لك ملك السعودية الذى يعبث فسادا فى أرض الحجاز المقدسة وجعلها تحت أقدام العسكر الأجانب لمحاربة المسلمين وانى أشكر هذه الفتاة الصغيرة التى سبقتنى فى الكلام وأشارت إلى هذا الملك وغيره من الملوك والحكام الذين سفكوا الدماء واغتصبوا الأراضى والأموال تحت اسمك يارب سبحانك وتعالى وأنت يا مولاى برئ منهم ومما يقولون، وتحت اسمى أنا رسولك وعبدك المطيع وأنا برئ مما يدعون، وهم يحورون كتابك القرآن الكريم ويفسرونه كما يشاءون، ويروجون الأحاديث عنى وهى مكذوبة، ويغيرون الأحاديث غير المكذوبة التى قلتها فى زمان ومكان غير هذا الزمان وغير هذا المكان،ولى حديث قلت لهم فيه أنتم أعلم بشئون دنياكم لكنهم يتجاهلون هذا الحديث ويقهرون النساء باسمى واسمك سبحانك وفى زمانى منذ ستة

عشرة قرنا لم أفرض الحجاب على المرأة وشرعت لها أن تختار زوجها وأن تطلقه إذا كرهت وجهه لكنهم يقهرون النساء ويقهرون الفقراء ويكنزون الذهب والفضة وأموال البترول ويتفاوضون مع أعداء المسلمين سرا وقد شوهوا صورة الإسلام إلى حد أن أصدر شيخهم واسمه « ابن الباز» كتابا يقول فيه أن وجه المرأة عورة ما عدا نصف عين ويدعى أننى أنا الذى شرعت هذا وأنا برئ من هذا الرجل الذى تسانده السلطة فى المملكة السعودية، وأضحك علينا الناس فى العالم بأن رفض الاعتراف بالعلم وأكد أن الأرض منبسطة وليست كروية وكل ذلك ينسبه إليك سبحانك وينسبه إلى مع أن الإسلام هو دين العقل ودين العلم والمعرفة وأول آيه أنزلتها على يارب هى اقرأ باسم ربك الأعلى الذى علم بالقلم سبحانه أكبر مما يدعون، وكم أود ياربى أن أعود اليهم لأواجههم بأكاذيبهم وأنقذ أمتى الإسلامية منهم فقد فسدوا وأفسدوا حتى توالت الهزائم على أمة المسلمين وأصبحوا فى مؤخرة العالم بعد أن كانوا فى المقدمة يحملون مشعل الحضارة والعلم.

وقد جئت إليك ياربى أطلب منك هذا الرجاء فما أحوج العالم اليوم إلى رسول من عندك ينقذهم من الضلال والمضللين.

(الرب الأعلى صامت يفكر بعمق، يشير بيده إلى سيدنا رضوان.)

يتهامسان فى تداول وتشاور، يعود سيدنا رضوان إلى مكانه، همهمة تسرى فى القاعة. يدق بالمطرقة ليسرى الهدوء من جديد).

سيدنا رضوان: يوافق الرب الأعلى على ما قاله السيد محمد. لقد فسد الملوك والحكام جميعا فوق الأرض فى الغرب والشرق والشمال والجنوب. وأصبح العالم فى حاجة إلى رسول جديد من عند ربنا الأعلى، إلا أن الأمر يحتاج بعض الوقت حيث يصطفى الله سبحانه واحدا من رسله ليكون رسولا إلى البشر فى القرن الواحد والعشرين وسوف يعقد سيدى الأعلى اجتماعا مغلقا مع جميع الرسل والأنبياء ابتداء من السيد إبراهيم حتى السيد محمد ليختار من بينهم الرسول الجديد، وسوف تعلمكم فى حينه باسمه بإذن ربنا الكريم، والآن ننهى هذا الاجتماع ونتمنى لكم.

(بنت الله تقف وتقاطع سيدنا رضوان).

بنت الله: أنا لم آخذ الكلمة بعد يا سيد رضوان

حــــــواء: ولماذا لا نحضر هذا الاجتماع المغلق يا سيد رضوان. لماذا يكون كل الرسل والأنبياء من الرجال؟! أليس هناك امرأة واحدة تصلح أن تكون نبية؟!

تسرى همهمة فى القاعة بين الجمهور. يقف أحد التلاميذ يحمل آلة موسيقية قديمة. يبدو عليه بعض الشقاوة والذكاء.

التلميذ: ولم نسمع إبليس الذى هو أصل الشر فى العالم.

يضحك التلاميذ. بعضهم يقول فى نفس واحد. والتلميذ يدق على الآلة:

المجموعة: عاوزين نسمع إبليس! عاوزين نسمع إبليس!

(يسود الهرج والمرج ويضحك الجمهور ويتلفت حوله باحثا عن إبليس. سيدنا رضوان يدق بالمطرقة لاعادة الهدوء).

(يقف إبليس فى يده الورقة التى كتب فيها استقالته الكل ينصت والصمت يدب فى القاعة).

إبليس: هذا الاجتماع تاريخي يا سيد رضوان، لأول مرة فى التاريخ يستمع ربنا الأعلى إلى صوتنا وكان لا يسمع إلا صوته، ولا يرى إلا نفسه ولا يعبد إلا ذاته، إن عبادة الذات تستوجب المسئولية، لأن المسئولية لا تنفصل عن القوة، وإذا كان ربنا الأعلى هو الأقوى هو القوة العليا والجبروت الأعظم فلابد أن تكون مسئوليته هى الأكبر، هذا هو العدل والمنطق فالعدل هو المنطق البسيط الواضح، ولأن ربنا الأعلى هو الحكمة العليا والعقل الأكبر فلابد يكون منطقه هو المنطق الأكثر عدلا والأكثر وضوحا، لابد لكلمة الله أن تكون أكثر عدلا وأكثر وضوحا من كلمة البشر، كلمتك يا سيدى التى جاءت فى كتبك الثلاثة السماوية كانت قاصرة، كانت فى حاجة إلى البشر ليفسروها للناس، وكانت فى حاجة إلى الترجمة وقد تضاربت أقوالك فى هذه الكتب الثلاثة، ولم تجعل الفضيلة الكبرى هى العدل أو المنطق بل جعلتها عبادة ذاتك وعدم عبادة إله آخر، وأصبح الشرك بك هو الإثم الأعظم وتقول فى كتابك القرآن «ويغفر الله الذنوب جميعا إلا أن يشرك به» هكذا يا سيدى ضحيت بالعدل والمنطق، وحكمت

على من لا يعبدك بالكفر والإلحاد وشرعت للناس
قتله، وادعيت أنك تعرف كل شئ عن البشر وأنت لا
تعرف عنهم شيئا، ولا تستطيع أن تتصل بهم مباشرة،
وإلا ما أرسلت إليهم رسلا، وقد حاولت أن تخفى
عجزك بالغموض والرمز أو التأثير على الناس
بالمعجزات والسحر، لكن فرعون يا سيدى كان لديه
من السحرة أكثر مما عندك، وعنده من الثعابين أكثر
من ثعبان موسى، أما رسولك إبراهيم فأنت لم تثق فى
طاعته لك حتى ذبح ابنه، وكان يمكن أن تعرف ذلك
دون حاجة إلى ذبح الابن البرئ، لقد جعلت من
إبراهيم نموذجا سيئا للآباء والأزواج، انهزمت الأبوة
والإخلاص الزوجى فى مواجهة الخوف منك، وكان
يمكن أن تمتحن قلب إبراهيم بطريقة أخرى تزيد من
إنسانيته وأبوته وإخلاصه لزوجته وابنه، لكنك جعلت
العبادة والطقوس الدينية فوق المبادئ الإنسانية العليا،
صحيح أنك كنت تتراجع أحيانا، وتقول لا إكراه فى
الدين، لكنك بصفة عامة وقفت ضد الفكر الحر
والمعرفة، وفى كتابك التوراة احتكرت شجرة المعرفة
لنفسك، صحيح أنك فى القرآن تراجعت قليلا
وأسقطت اسم الشجرة تماما، قلت عنها «الشجرة» بلا
اسم، إلا أنك كنت ضد المعرفة والمنطق الواضح،
وهناك اختلافات كثيرة بين كتبك الثلاثة مما بلبل
عقول الناس وقسمهم فرقا وطوائف ومذاهب يتقاتلون
باسمك، كل منهم يحمل كتابا من كتبك وفى يده

الأخرى السيف أو قنبلة أو مدفع رشاش، وأهم شئ يا
سيدى أنك جعلتنى فى هذه الكتب الثلاثة عدو البشر
والمسئول عن الشر فى العالم، ولكن كيف أكون
المسئول وأنت الذى تملك القوة والسلاح والمال
والمعرفة والإعلام والسماوات والأرض؟! كان يمكنك
يا سيدى بكل هذه القوة والجبروت أن تمنع هذا الدم
المراق على أرض فلسطين، كان يمكنك أن تنزع
السلاح النووى يا سيدى بكل هذه القوة والجبروت أن
تمنع هذا الدم المراق على أرض فلسطين، كان
يمكنك أن تنزع السلاح النووى أو غير النووى من
يد إسرائيل وأمريكا وروسيا وإنجلترا وفرنسا والصين.
هذه الحكومات العسكرية النووية يا سيدى هى سبب
الفساد فى العالم وليس أنا إبليس المسكين الذى لا
يملك سيفا واحدا ولم يحمل فى يده سلاح أى
سلاح. ماذنبى يا سيدى وما خطيئتى؟! أننى رفضت
الركوع لآدم؟ كيف أركع لحاكم فاسد ياربى؟ لقد
اعترفت يا سيدى فى كتابك أن آدم فاسد، ومع ذلك
جعلته خليفتك فى الأرض، ثارت الملائكة جميعا
وليس أنا وحدى وقالوا لك: أتجعل فيها من يفسد فيها
ونحن نسبح بحمدك؟! اعترفت بذلك فى القرآن،
وإذا أصبح الفاسد خليفة أو حاكما فماذا يحدث؟ ألا
يعم الفساد؟! وإذا سألناك لماذا تفعل ذلك تقول هذه
هى إرادتى ومشيئتى وأنا حر. لكن الحرية مسئولية يا
سيدى وإن لم يكن الرب الأعلى مسئولا عن أفعاله

فمن يكون؟! هؤلاء الذين يذبحون الشعوب البريئة فى فلسطين أو غير فلسطين ليسوا إلا سلالة الحكام الفاسدين ابتداء من آدم حتى اليوم. لقد أرسلت عيسى ابن مريم رسولا لك وابنا بارا لكنه تعذب وقتل على الصليب، واعترفت بذلك فى كتابك الإنجيل، لكنك أنكرت ذلك فى كتابك القرآن. فهل وجدت أن مقتل رسولك هزيمة لك تشكك الناس فيك؟! إن الفساد أو الظلم يا سيدى يقود إلى فساد أو ظلم آخر. وقد تراكمت المظالم والمفاسد فى العالم حتى أغرقت الأرض بالحروب والدم يا سيدى أنت جعلت القلة التى تملك السلاح والمال تتحكم فى الأغلبية الساحقة من البشر التى لا تملك السلاح ولا المال. أنت جعلت الرجال الرجال يتحكمون فى النساء وشرعت لهم الخيانة وفرضت على المرأة وحدها الإخلاص الزوجى. أنت يا سيدى شجعت الجهل والغموض، قاومت المعرفة، كل خطوة خطاها الإنسان نحو العلم كانت بالرغم منك، وكل حرب فى التاريخ قامت باسمك، وكل من خالفك تهدده بالحرق فى النار أو القتل. وبعد كل ذلك يا سيدى تطلب من الناس أن تحبك؟! لا يا سيدى إن الحب والخوف لا يجتمعان فى قلب واحد. وقد جئت اليوم ومعى استقالتى من منصبى، هذا المنصب أنت فرضته على، كنت أنا الشماعة التى يطلق عليها الحكام الفاسدون جرائمهم ابتداء من آدم

حتى الملك فهد فى السعودية أو بنيامين نيتانياهو فى إسرائيل.

(يتقدم إبليس نحو عرش الرب الأعلى، ينحنى بأدب شديد يقدم له الورقة، ثم يستدير ويسير خارجا من القاعة).

(عيناه مملوءتان بالدموع. العيون ترمقه بذهول ورهبة. الصمت يدب فى القاعة طويلا. الرب الأعلى يشير بيده إلى السيد رضوان. يأتى إليه أحد الجنود بنظارة النظر فوق صينية من الفضة أو الذهب. يرتديها الرب الأعلى فوق عينيه. لها شكل خاص غير نظارات البشر. يقرأ استقالة إبليس وهو صامت. ثم يلقى بها فوق الصينية التى يحملها الجندى خارج القاعة.

يشير الرب الأعلى إلى السيد رضوان. يتهامسان قليلا. ثم يعود رضوان إلى مكانه).

السيد رضوان: انتهى هذا الإجتماع بأمر ربنا الأعلى، عليكم جميعا بالانصراف، إلا السادة الرسل والأنبياء، نرجو منهم البقاء، فسوف ينعقد اجتماع القمة المغلق بعد الاستراحة.

المشهد الثالث

اجتماع القمة يرأسه الرب الأعلى جالسا إلى عرشه العالى فى المشهد السابق. الأنبياء والرسل جالسون على شكل نصف دائرة حول منضدة السيد رضوان يدير الجلسة فى يده المطرقة إلى جواره كاتب الجلسة. الغرفة فخمة تشبه الغرف فى القصور يتدلى من السقف نجفة تشبه النجف فى قصور الملوك والآباطرة.

يرتفع الستار قبل أن يدخل الرب الأعلى إلى الاجتماع كرسى العرش العالى خال منه. لكن الرسل والأنبياء جميعا حاضرين الذين ذكرت أسماءهم فى الكتب السماوية الثلاثة. بالطبع هناك بعض الغائبين إلا أن الرسل الأربعة الأساسيين موجودون وهم إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد. جالسين بوقار.. يجلس فى الوسط إبراهيم عن يمينه موسى، عن يساره عيسى، ثم محمد يجلس إلى جوار عيسى.

سيدنا عيسى وسيدنا محمد يتحدثان معا بصوت خافت.

سيدنا محمد: كان ربنا الكريم واسع الصدر وقد ضرب لنا مثلا عظيما فى احترام الرأى الآخر وهو سبحانه الذى قال لنا لا إكراه فى الدين، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

هؤلاء الذين يقتلون باسم الإسلام يشوهون صورته الصحيحة، مما يعطى أعداءنا الفرصة للنيل منه، وقد أصبح الإسلام فى الغرب هو العدو الأول بعد سقوط الشيوعية.

سيدنا عيسى: نعم يا أخ محمد لابد من وجود عدو لتبرير وجود الحرب ومصانع الأسلحة، هل يمكن أن تتخيل هذا العالم بدون عدو؟ أو بدون شيطان؟ بعد استقالة إبليس ماذا يكون الكون يا أخى محمد؟

من الناحية الأخرى يتهامس السيد إبراهيم مع السيد موسى.

السيد إبراهيم: ما يفعله قومك فى إسرائيل يا موسى لا يرضى الله جعل أرض فلسطين لنا حسب وعده فى التوراة، لكن هذا كان منذ آلاف السنين فكيف تواصلون ذبح الفلسطينيين بهذه الوحشية، لقد قلبتم الدنيا كلها ضدكم، حتى حكومة فرنسا العنصرية الاستعمارية أصبحت ضدكم، هل عرفت أن جاك شيراك أصبح نصيرا للعرب ويطالب بدولة مستقلة للفلسطينيين؟ هل سمعت أخبار فى الراديو بالأمس؟!

السيد موسى: إنه صراع بين فرنسا وأمريكا يا سيدى حول منطقة الشرق الأوسط وما فيها من بترول. أنا بالطبع لا أتفق مع هذا النيتانياهو، إنه يبالغ فى قسوته على الفلسطينيين، ويشجع المستوطنات غير الشرعية فى الأرض المحتلة، وهذا يعطل مسيرة السلام التى نحن

أحوج إليها من العرب لتعيش دولة إسرائيل فى أمان بدلا من هذه الحروب.

(يدخل حاجب يعلن بصوت جهورى):

السيد صاحب العزة والجلالة مولانا ربنا الأعلى!

(يفتح الباب المبطن بالجوخ الأخضر ويدخل إلى القاعة الرب الأعلى ومن وراءه بعض موظفى البلاط والجنود والملائكة وبعض مصورى الصحف والتليفزيون. يجلس على العرش بعد أن يقف له الحاضرون مع الإنحناء فى خشوع كبير. يبدأ الحديث سيدنا رضوان بعد انصراف الحاشية والبلاط ومندوبى الإعلام).

سيدنا رضوان: هذا اجتماع قمة مغلق أراد ربنا الأعلى أن يتباحث معرسله الكرام فى بعض مشاكل الكون وقد حضرتم سيادتكم الاجتماع الموسع السابق وأصبحتم على دراية بالمشاكل التى تواجهنا اليوم والتى يجب أن نجد لها حلا سريعا من أجل الحفاظ على العرش الأعلى، إذ لا يمكن أن يتعرض هذا العرش لأى أذى ونحن موجودون، نحن حماة هذا العرش أيها السادة أليس كذلك ؟!

يوافق الجميع دون اعتراض. يشرب سيدنا رضوان بعض الماء من إناء فضى. يواصل كلامه.

سيدنا رضوان: ولعل أخطر ما حدث اليوم هو استقالة إبليس، وقد حاولت أن أثنيه عن هذه الاستقالة ليعود إلى عمله ويوسوس فى آذان الناس إلا أنه رفض تماما وليس

أمامنا أيها السادة إلا أن نختار من بينكم واحدا يقوم بدور إبليس، وإلا أصبحنا فى حرج شديد، فلا أحد يتصور العالم بدون شيطان، ما رأيكم دام فضلكم ؟

الصمت يدب بين الحاضرين. لا أحد يتقدم ، كل واحد منهم ينظر إلى الآخر. يبدو عليهم جميعا القلق والخوف والتردد. تمر لحظة طويلا لا أحد يتقدم.

سيدنا رضوان: إذا لم يتقدم أحد فسوف يضطر سيدنا ومولانا أن يختار واحدا من بينكم. ما رأيكم؟

سيدنا إبراهيم: من حق الله أن يختار من يشاء وليس أمامنا إلا الطاعة والصبر، وأنا رجل عجوز قبيح الصوت والشكل والشيطان لابد أن يكون شابا جذابا يمكنه أن يغرى الناس أما أنا فلا إغراء ولا يحزنون.

سيدنا موسى: وأنا أيضا عجوز وقبيح الشكل وسوف ينفر الناس منى إذا أصبحت الشيطان وهكذا يصبح وجود الشيطان مثل عدم وجوده.

سيدنا محمد: وأنالا أصلح أيضا يا سيد رضوان فقد ولى الشباب وراح وليست عندى قدرة على الوسوسة فى آذان الناس. إن صوتى قوى يا سيد رضوان.

(العيون تتجه إلى عيسى، الشاب الوسيم).

سيدنا رضوان: أيمكن أن تقبل هذا المنصب يا سيد عيسى من أجل أبيك ؟!

سيدنا عيسى: من أجل أبى صلبونى وعذبونى يا سيد رضوان وليس من

العدل أن أعذب وأصلب من جديد. لماذا لا تلعب أنت يا سيد رضوان دور الشيطان، وقد عشت حياتك كلها في نعيم الجنة ومن العدل أن تنال بعض الأذى وتعانى بعض الآلم كما عانينا نحن؟!

(يوافق الجميع على رأى سيدنا عيسى. يقولون في نفس واحد وهم يتنفسون الصعداء. جميع الرسل في صوت واحد: هذا رأى سديد وكلنا نوافق عليه بالإجماع)!

(يسقط وجه سيدنا رضوان فزعا وهولا، ينظر إلى ربه الأعلى يطلب منه الإنقاذ).

الرب الأعلى: رضوان هو ساعدى الأيمن لا أستطيع الاستغناء عنه، على أى حال سنترك منصب إبليس حتى نفرغ من المواضيع الأخرى. تفضل يا سيد رضوان.

السيد رضوان (يقرأ من ورقة): البند الثانى في جدول الأعمال هو انتخاب الرسول الجديد الذى سيرسله ربنا الأعلى لإصلاح العالم. لقد طلب السيد محمد من سيدنا الأعلى أن يرسله مرة أخرى ليهدى الناس إلى الصراط المستقيم، لكن سيدنا الأعلى رأى أن الشورى في أمر هذا الرسول الجديد ضرورية، فأنتم جميعا رسله وأنبياؤه وهو يثق فيكم جميعا وأنتم أمامه سواسية كأسنان المشط، ولهذا ترك لكم الحرية أن تختاروا فيما بينكم هذا الرسول الجديد. (يدب الصمت بين الحاضرين يطرق كل منهم مفكرا بعمق).

لا أحد يتكلم. أخيرا نسمع صوت سيدنا إبراهيم.

سيدنا إبراهيم: حيث أن لا أحد تقدم فإنى أرشح السيد موسى بصفتى أكبر الحاضرين سنا ولأننى أبو الأنبياء، وقد رشحت السيد موسى لأنه أقدم الأنبياء من بعدى، وأكثرهم تجارب وحنكة والرسول الجديد يجب أن يكون على قدر كبير من الحنكة.

سيدنا رضوان: ما رأيكم أيها السادة.

سيدنا محمد: معذرة يا أبى إبراهيم لا أوافق على هذا، لأن السيد موسى يقف إلى جانب قومه بنى إسرائيل، والمشكلة الكبرى في العالم اليوم هى إسرائيل ولا يمكن أن يكون رسول الله الجديد من بنى إسرائيل. أنا أرشح بدلا منه السيد عيسى.

سيدنا رضوان: ما رأيك يا سيد عيسى؟

السيد عيسى: أود أن أشكر أخى محمد على ترشيحى، ولكنى أعتذر وأخشى أن أعود إلى ذلك العالم فتكون نهايتى التعذيب والصلب مرة أخرى.

(يتلفت سيدنا عيسى حوله في الوجوه كأنما يبحث عن أحد غائب).

سيدنا عيسى: آلا تلاحظون أيها السادة أن جميع الحاضرين من الرجال. لا توجد معنا امرأة واحدة. ماذا أقول لنساء العالم الفيميست حين أعود إليهم؟! أرجوكم إعفونى من هذا الدور!

السيد محمد: هناك بعض النساء العظيمات يصلحن لدور النبوة منهن السيدة خديجة زوجتى الأولى إنها هى أول من اعتنق

الإسلام، وبعد أن نزل على جبريل فى غار حراء، عدت إليها أرتجف بالخوف وقلت لها دثرونى، ولم أعرف ماذا أفعل، وهى التى شجعتنى وقالت لى إنهض أنت رسول الله لولا ذلك أيها السادة ما نهضت وما نهض الإسلام.

سيدنا عيسى: وأمى السيدة مريم العذراء، هى أطهر النساء جميعا كما ورد فى القرآن يا آخ محمد، وقد إصطفاها الله على نساء العالمين، وخصص لها فى القرآن سورة كاملة باسمها هى سورة مريم، أما السيدة خديجة يا أخ محمد فلم يرد اسمها فى القرآن على الإطلاق! بل لم يرد اسم امرأة فى كتاب القرآن إلا اسم أمى مريم. ما رأيك يا أخ محمد؟

سيدنا محمد: كلامك صحيح يا أخ عيسى، وقد سألنى الناس مرارا لماذا لم يرد اسم السيدة خديجة فى القرآن كما ورد اسم السيدة مريم وقلت لهم لعل الله له حكمة فى ذلك لا نعرفها نحن البشر.

سيدنا إبراهيم: السيدة مريم ابنة هارون طاهرة الذيل ولكن هل ننتخبها فى غيابها يا سيد رضوان؟ لماذا لا تدعوها إلى الإجتماع هى وغيرها من النساء العظيمات فى التاريخ لعل الله يصلح الكون برسولة امرأة بعد أن فشلنا نحن جميعا الرجال.

(سيدنا رضوان يتهامس مع الرب الأعلى يستشيره الرأى. يطول الهمس بينهما بضع لحظات ثم يدق سيدنا رضوان الجرس

ويستدعى الجنود السيدة مريم العذراء وبعض النساء يدخلن معها منهن بنت الله. يجلسن فى الصفوف الخلفية. تدخل حواء أيضا ووجوه نسائية معروفة فى التاريخ القديم الإلهة معات والإلهة إيزيس. نفرتيتى، كليوباترة، رابعة العدوية وغيرهن).

سيدنا رضوان (يخاطب النساء): أمر ربنا الأعلى أن تكون بعض النساء الطاهرات حاضرات معنا فى اجتماع القمة هذا، وقد ذكر الله سبحانه فى كتبه الثلاثة أنه خلق الإنسان من نفس واحدة ذكر وأنثى، ولا فضل لإنسان على إنسان إلا بالتقوى والصلاح وعمل الخير، وهناك نساء كثيرات اشتهرن فى التاريخ بالتقوى والصلاح وعمل الخير منهن السيدة مريم أم النبى عيسى المسيح والسيدة خديجة زوجة النبى محمد والسيدة والدة النبى موسى التى أنقذت حياته من فرعون.

والسيدة هاجر التى أنقذت حياة ابنها إسماعيل وغيرهن من الأمهات والزوجات اللاتى أثبتن شجاعتهن والتضحية بحياتهن من أجل إعلاء كلمة الحق. وقد أمر ربنا الأعلى بحضوركن للتشاور فيمن يكون الرسول الجديد الذى يرسله الله لإصلاح هذا العالم الغارق فى الدم والحروب والمظالم، لقد جاءنى الآن بالفاكس إشارة أن مائتى ألف طفل ماتوا جوعا وهم يهربون من نيران الحرب المشتعلة فى زائير ورواندا وبروندى وأن ٧٠ شابا وطفلا قتلوا فى معركة أخيرة

بين الجيش الإسرائيلى والشعب الفلسطينى غير المسلح، وأن الدول النووية الكبرى تريد نزع السلاح النووى من كل بلاد العالم إلا بلادهم وإسرائيل، ونزع هذا السلاح لابد أن يسرى على الجميع.

إن ربنا الأعلى غاضب على حكام هذا العالم، لقد فسدوا فى الأرض وكالوا بمكيالين، وقد قرر سبحانه أن يرسل إلى الناس رسولا جديدا يذكرهم بكلمة الله ويهديهم إلى الصراط المستقيم، أو رسولة امرأة، فلماذا يكون كل الأنبياء رجال، لهذا نطلب منكن إبداء الرأى فى هذا الأمر، وترشيح واحدة منكن لهذا الدور.

(حواء ترفع يدها تطلب الكلمة.)

(سيدنا رضوان تفضلى يا ست حواء)

حواء: أريد أن أسألك يا سيد رضوان لماذا حذفت اسمى، لماذا لم تذكر اسمى ضمن هؤلاء النساء فى التاريخ، أتفعل ما فعله سيدك الأعلى وتنكر أننى أول من قاد البشر إلى المعرفة وليس إلى الموت كما ذكر فى كتبه للناس. لقد حذف ربك الأعلى اسمى فى كتابه الأول التوراة لكنه ألصق بى الخطيئة الأولى، ثم حذف اسمى تماما فى كتابه الثالث القرآن، جعلنى فقط زوجة آدم، لكنه أشرك آدم معى فى الخطيئة حين قال: وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما عما كانا فيه. يستخدم ربك

الأعلى صيغة المثنى هنا دليل على أن الاثنين آدم وزوجته قد اقترفا الإثم، لكنه يغفر لآدم وحده ويقول: فتلقى آدم من ربه كلمت فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم» لماذا يا سيد رضوان لم يقل «فتلقى آدم وزوجه من ربهما كلمات فتاب عليهما؟» لاشك أن ربك الأعلى على دراية كبيرة بالنحو فى اللغة العربية، ولهذا يا سيدى أصبحت أنا «حواء» «الآثمة» فى نظر الناس جميعا ممن يؤمنون بسيدك الأعلى وكتبه، وخرج آدم بريئا مع أنه كان فاسدا يسفك الدماء واعترضت الملائكة أن يكون آدم خليفة لسيدك على الأرض وقالوا كما جاء فى القرآن، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ أتعرف بماذا رد عليهم قال: إنى أعلم مالا تعلمون، هكذا إدعى لنفسه المعرفة وطردنى منها مع أننى صاحبة المعرفة الأولى من خلال تجربتى فى حياتى، فالمعرفة يا سيد رضوان لا تنتج إلا من التجربة فى مكان معين وزمان معين، وسيدك الأعلى يعيش خارج الزمان وخارج المكان فمن أين يحصل على المعرفة؟! المعرفة يا سيد رضوان تنتج عن الحواس والعقل داخل تجربة نعيشها.

سيدنا رضوان: هذا تخريف يا سيدة حواء، كيف تنتج المعرفة عن الحواس والعقل؟ ربنا الأعلى هو صاحب المعرفة. إننا لا نحصل على المعرفة بواسطة التجربة بل من الله سبحانه وتعالى هو الذى يهبنا العلم والمعرفة قبل

التجربة والممارسة. نحن يا سيدة حواء لا نعرف إلا ما يريده الله لنا أن نعرف، قال الله تعالى قل: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء.

سيدنا محمد: نعم يا سيد رضوان، لكن الله قال أيضا فى قرآنه الكريم: «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون! إننا نولد يا سيد رضوان وعقولنا صفحة بيضاء لا نعرف شيئا ثم نتعلم ونكتسب المعرفة عن طريق السمع والبصر والأفئدة. والأفئدة تعنى القلوب، ما تحسه القلوب أى الحواس.

حـــــواء: هذا الكلام يعنى أننا نكتسب المعرفة من أحاسيسنا ومما نراه ونسمعه ونعيشه فى الحياة وهو يناقض الآية السابقة التى يقول إن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء هذه الآية تعنى أن المعرفة بيد الله فقط يعطيها من يشاء ويحرمها من يشاء، أى هناك قضاء وقدر سابق على ولادة الانسان وليس للإنسان خيار أو معرفة مكتسبة من واقع حياته عن طريق حواسه، لأن كل شئ قد تم وعرف وكتب بصرف النظر عن تجاربه وخبراته.

وإذا كان الله قد فرض على الإنسان الهداية أو الضلال فالإنسان غير مسئول عن هدايته أو ضلاله، والله هو المسئول الوحيد وهو الذى يحاسب على ذلك وليس الإنسان، لأن هداية الإنسان أو ضلاله ليست نتيجة

اختياره بل مفروضة عليه من الله، والإجبار يا سيد رضوان يعفى من المسئولية، وهذا مبدأ أساسى فى العدالة أليس كذلك أيها السادة والسيدات؟!

سيدنا إبراهيم: نعم يا سيدة حواء الإجبار يعفى من المسئولية، كذلك أيضا فإن الإنسان مسئول عن أفعاله وليس مسئولا عن أفعال الغير، وقد راجعت ربى الأعلى أكثر من مرة حين كان يأمرنى بحرق المدينة كلها وقتل كل من كان فيها بسبب ضلال عشرة منهم فقط أو عشرين.

سيدنا محمد: وهذا يا سيدنا إبراهيم ما نص عليه الله فى القرآن الكريم حين قال تعالى: ولا تزر واحدة وزر الأخرى ولكل ما فعل.

سيدنا إبراهيم: نعم يا سيد محمد، لكن الله سبحانه وتعالى قال أيضا:«قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا» وهذا يعنى أن الإنسان لا يملك حتى ضرر نفسه أو نفعها فما بال الاخرين. وهناك آيه أخرى فى القرآن يا سيد محمد تقول: إن أصابك من سيئة فمن نفسك وإن أصابك من حسنة فمن الله، وهكذا نرى أن آيات الله تتضارب وتقول الشئ ثم تنكره، وتقول الشئ ونقيضه فلا نعرف الحقيقة أبدا.

سيدنا محمد: لنفهم هذه الآيات يا سيدنا إبراهيم لابد من أرجاعها إلى الظروف التى نزلت فيها، ولكل آية ظرف يختلف عن الآية الأخرى، مثلا كان الله يأمرنى بالقتال حتى ترتفع كلمة الله: «وقاتلوا الذين كفروا بالله والرسول».

وفى ظروف أخرى كان ينهانى عن القتل ويأمرنى بالتفاوض والصلح «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» لابد من معرفة المكان والزمان الذى نزلت فيه الآية لنفهمها ونعرف أسبابها.

سيدنا إبراهيم: إذن كلمة الله ليست مطلقة وليست ثابتة ولكنها مرهونة بالزمان والمكان وبالتالى يمكن أن تتغير من وقت إلى وقت.

سيدنا محمد: هناك أحكام ثابتة مطلقة فى كتاب الله وهناك أحكام متروكة للبشر يغيرونها حسب مصالحهم، فإذا تعارض نص مع المصلحة العامة للناس تغير النص لكن هناك نصوص ثابتة مطلقة لا تقبل التغيير أبدا.

سيدنا إبراهيم: مثل ماذا يا سيد محمد؟

سيدنا محمد: مثلا الأركان الخمسة للإسلام ثابتة لا تتغير: الإيمان بالله الواحد الأحد لا شريك له، ورسله والأنبياء جميعا من إبراهيم ويعقوب واسحاق وموسى وعيسى ومحمد، والإيمان باليوم الآخر والصلاة والزكاة والحج لمن استطاع سبيلا.

سيدنا عيسى: لكنكم يا سيد محمد لا تؤمنون أننى صلبت، وقال الله فى القرآن «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ونحن فى المسيحية نؤمن بالله وابن الله والروح القدس، أى أننا نؤمن بالتثليث وليس التوحيد، وإذا كان كل واحد مسئول عما يفعل ولا تزر واحدة وزر أخرى فلماذا يعاقبنا الله جميعا لأن واحدة أخطأت هى حواء.

حــــــواء: وما هى خطيئتى؟! حسب ما يحكيه الرب الأعلى فى كتبه السماوية كان أمامى طريقين لا ثالث لهما:

الطريق الأول: هو ألا آكل من الشجرة فأحصل على الخلود مع الجهل. والطريق الثانى هو أن آكل من الشجرة واكتسب المعرفة لكنى أحرم من الخلود، وقد فضلت المعرفة مع عدم الخلود عن الخلود مع الجهل!

سيدنا رضوان: عدم الخلود يعنى الموت والمعرفة تعنى ممارسة الجنس مع آدم والحمل والولادة أليس كذلك يا سيدة حواء،

حــــــواء: نعم، وما العيب فى الجنس والحمل والولادة يا سيد رضوان؟! لقد قال ربك الأعلى للبشر تكاثروا وتناسلوا فكيف كان يحدث ذلك بدون أن آكل أنا وزوجى من الشجرة، ونعرف الجنس معا. كان علينا أنا نختار بين طاعة الله وبين ممارسة الجنس والإنجاب. إن طاعة الله تعنى أننا لن يكون لنا نسل أى أننا سننقرض. كما أن عدم طاعته تعنى أيضا الموت لنا. إذن الطاعة أو عدم الطاعة كلاهما تقود إلى موتنا. لهذا كان علينا أن نختار الجنس والتناسل ثم الموت بدلا من الموت قبل ممارسة الجنس والإنجاب. على الأقل أصبح لنا نسل يتناسل من بعدنا وهكذا استمرت البشرية يا سيد رضوان فالبشرية كلها مدينة لى أنا لأننى عصيت الله وكنت أكثر شجاعة ووعيا من زوجى آدم، ومع ذلك يا سيد رضوان فقد أدانى ربك الأعلى وعاقبنى شر عقاب بأن جعل زوجى يسود على وكنت أرجح منه

عقلا وحكمة، بل إنه عاقب كل بنات حواء، وجعل الرجال قوامون على النساء يسيطرون عليهم فى العائلة أو الدولة.

سيدنا رضوان: العائلة مثل الدولة مجموعة ولابد لها من قائد واحد يتخذ القرار النهائى حين يختلف الأفراد، وكان لابد لآدم أن يكون هو القائد يا سيدة حواء، لأنه أطاعه وفهم أوامره أكثر منك، وكنت أنت عاصية أكثر منه وأقل طاعة لله لهذا رأى الله أن يفرض عليك طاعة زوجك، لأنك إذا أطعت زوجك أطعت ربنا الأعلى.

حـــواء: معنى ذلك أن ربك الأعلى عجز عن أن يفرض طاعته على مباشرة ففرض على الطاعة من خلال زوجى، ثم فرض «قانون الطاعة» على جميع النساء فى العالم، وجعل الرجل وصيا على المرأة وعلى أخلاقها وشرفها وعذريتها واخلاصها الزوجى، وأعطى للزوج سلطة مراقبة أخلاق زوجته واخلاصها له لكنه لم يعط الزوجة هذا الحق بل شرع الخيانة الزوجية للرجال عن طريق تعدد الزوجات أو تعدد الجوارى ومن ملكت أيمانهم، كل ذلك لأننى أنا حواء الآثمة دون أن أقترف أى إثم، بل إننى السبب الأول لاستمرار البشرية.

(صمت يدب فى القاعة. الرجال مطرقون يفكرون).

سيدنا رضوان: السبب الأول لاستمرار البشرية هو ربنا الأعلى سبحانه وإن شاء الله لا نقرض البشر جميعا، لكنه أراد للبشرية الاستمرار وجعل آدم وحواء الأداة لتحقيق إرادته وهذا

حقه المطلق علينا نحن عبيده فهو الذى خلقنا وعلينا أن نعبده ونطيعه، فهو أعلم منا، وقد عرف ربنا الأعلى أن الرجال أكثر طاعة له من النساء ولهذا خاطب الرجال وهذا أسهل له من مخاطبة الجنسين. ثم إن فرض زوج واحد على المرأة ضرورى حتى يعرف الأب ولا تختلط الأنساب لكن تعدد الزوجات لا يؤدى إلى خلط الأنساب لأن الأب واحد.

بنت الله: هذا يا سيدنا رضوان حين تكون الأنساب أبوية، لكن إذا كان النسب للأم لم تكن هناك مشكلة. وهناك بلاد كثيرة فى العالم اليوم تنسب الأطفال لأمهاتهم أو تنسبهم للأم والأب معا. إن تجاهل اسم الأم ليس إلا استمرار لتجاهل حق المرأة فى التاريخ، وفى الحضارات الأموية السابقة على ظهور الإله الذكر الواحد كان الأطفال ينسبون للأم وعرفنا الإلهة معات إلهة العدل، وايزيس إلهة المعرفة، ولهذا عرفت فى التاريخ النساء العارفات، أطلق عليها «العرافة» كان يلجأ إليها الملوك والأباطرة القدامى يسألونها عن الغيب، فى شمال أفريقيا كان اسمها «ديهار» لكن اسمها أسقط فى التاريخ كما أسقط أسماء النساء الحكيمات اللاتى أطلقن عليهن الساحرات وحرقن فى العصور الوسطى لإتهامهن بالشيطنة أو تحدى الكنيسة، ومن النساء العربيات القديمات كانت زرقاء اليمامة هى العرافة ترى ما يراه الاخرون، وعفيراء والزبراء من بنى رئام،

التى أنذرتهم بهجوم أعدائهم عليهم وقالت كلاما شعرا لا يقل إعجازا فى البلاغة عن القرآن، قالت الزبراء لبنى رئام: «واللوح الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق، إن شجر الوادى ليأدو ختلا، ويحرق أنيابا عصلا، وإن صخر الطود لينذر تكلا، ولا تجدون عنه معلى» وكانت بلقيس ملكة سبأ، والعرافة المرأة هى التى تنبأت بكارثة سد مأرب، لكن يا سيدنا رضوان انقلب التاريخ رأسا على عقب منذ تولى ربك الأعلى العرش، فقتل الأم الكبرى وسماها الزانية الكبرى فى بابل، وأصبحت العرافة أو إلهة المعرفة هى الآثمة الشريرة، وهى الجاهلة الناقصة العقل والدين. وفى عالمنا اليوم تحرم المرأة من الكلام لأن صوتها عورة، ووجهها عورة فى بلاد كالسعودية، ولا حق لها الانتخاب أو الترشيح فى الكويت، ولا تستطيع أن تجدد جواز سفرها بدون إذن زوجها فى مصر، وفى الغرب يا سيدنا رضوان فى أمريكا وأوروبا لا تزال المرأة خاضعة لزوجها ولا تحصل على أجر عن عملها مثل الرجل، وتعانى أغلب النساء فى العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا من الفقر إلى حد أن أطلقت الأمم اصطلاحا جديدا اسمه تأنيث الفقر، وهناك شيخ معروف فى مصر اسمه الشيخ الشعراوى يعتبر نفسه مندوب ربك الأعلى على الأرض إليه تلجأ النساء الفنانات لإعلان التوبة إلى الله وهجرة عملهن الفنى باعتبار أن صوت المرأة فى الغناء حرام، وظهورها

على المسرح حرام، أو شاشة السينما والتليفزيون، بل إنه يحرم الموسيقى ويقول أنها من الشيطان، وقد أفتى هذا الشيخ يا سيدنا رضوان بأن ربك الأعلى يحرم نقل الأعضاء مثل الكلية وغيرها إلى المرضى، وقال يا سيدى بالحرف الواحد: إن نقل الأعضاء أو غسيل الكلى لعلاج الفشل الكلوى يؤخر لقاء الإنسان لربه وكلها محرمة، قال هذا بالأمس يا سيدى.

سيدنا محمد: إن كلام هذ الشيخ تخريف تخريف، فالله لم يأمرنا بالموت ولكن أمرنا بالحياة. آيات القرآن تشجعنا على الحياة ولو أخذ المسلمون بما يقوله هذا الشيخ فى الحياة والموت (وماسماه تأخير لقاء الإنسان مع ربه) لاختفى الإسلام واختفى المسلمون بالانقراض، وفى العالم اليوم تتوالى الاختراعات العلمية والطبية لمساعدة الإنسان على الحياة ومقاومة المرض والموت، وليس هذا اعتراضا على إرادة الله فكله من قدر الله وقضائه، لكن الله أعطانا العقل لنجعل حياتنا أفضل وأجمل وأكثر عدلا، ولى حديث يا سيد رضوان أقول فيه: إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا.

(صمت يدب فى القاعة. ثم تسمع أصوات خارج القاعة. الجماهير تهتف فى المظاهرات. الشعب السودانى خرج فى مظاهرة كبرى ضد حكومته).

(صوت الجماهير يسمع كفاية دين عاوزين تموين!)

بنت الله: هذه أصوات النساء والأطفال والرجال الفقراء يطالبون بالخبز بدلا من الآيات المقدسات، وبالأمس يا سيدى قتل أب سودانى أطفاله الأربعة وقال فى التحقيق: إنه أمر الله، الرجل اسمه «خميس مسكين» ارتكب هذه الجريمة وقال لرجال البوليس إنها تنفيذا لأوامر يتلقاها من السماء، الأطفال عمرهم ما بين ٤ـ٩ سنوات، هشم أبوهم رؤوسهم بالساطور، وهناك امرأة مصرية اسمها «سحر محمود أحمد» قتلت طفلتها الوحيدة ياسمين مصطفى حسن، عمرها سنة واحدة، كتمت أنفاسها وحملت جثتها إلى البوليس وقالت إنها قتلت ابنتها. لترحمها من حياة الفقر وحتى تدخل الجنة وهى طفلة صغيرة لم تقترف ذنوبا بعد، وهناك يا سيدى أربعة نساء لقين مصرعهن أثناء تنافسهن على الحصول على الدقيق فى مدينة اسمها كفر الدوار، وهناك زوج وزوجة ألقيا بطفلهما المولود فى الشارع لأن الأم حملت به قبل كتابة عقد الزواج، قتل الطفل خوفا من الفضيحة، وهناك زوجات يا سيدى انتحرن وقتلن أنفسهن بسبب خيانة الزوج أو زواجه بامرأة أخرى، ورجال يطلقون زوجاتهم بلا سبب بمجرد أن له الحق المطلق فى الطلاق، وأطفال بنات يبيعهن الآباء لرجال عجائز تحت ستار عقد الزواج، وتضرب الزوجات تحت اسم آيه فى القرآن تقول «واضربوهن واهجروهن فى المضاجع» هذه المآسى كلها تحدث بسبب ما يطلقون عليه اسم «الشريعة».

سيدنا محمد: الشريعة يا إبنتى بريئة من كل هذا، وسوف يحاسب الله هؤلاء المذنبين حسابا عسيرا فى الآخرة.

سيدنا إبراهيم: لكن يا سيد محمد هذا الحساب لابد أن يكون فى الدنيا وليس الآخرة لأن الجرائم وقعت على الأرض هنا والآن ولا يمكن تأجيل الحساب إلى ما بعد الموت، لأن تأجيل الحساب يعنى تأجيل العدالة، والعدالة المؤجلة هى ظلم يا سيد محمد. العدالة المؤجلة يوما واحدا تساوى ظلما لمدة عام كامل.

سيدنا رضوان: ماذا تقول يا سيدنا إبراهيم؟ ألا تؤمن بالحياة الأخرى والحساب؟! أنت يا سيدنا أبو الأنبياء وأبو الرسالة التوحيدية، أنت أول من عرف التوحيد فى التاريخ!

سيدنا إبراهيم: لا يا سيدى، إن التوراة لا تشير إلى إله واحد بل «إلوهيم» أى مجموعة من الآلهة، وقد بدأ التوحيد متأخرا فى مصر القديمة فى عهد نفرتيتى وإخناتون، وكان للمصريين القدماء آلهة كثيرة منهم آلهة أقاليم وآلهة مدن وآلهة عواصم وآلهة للدولة وآلهة لقوى الطبيعة وآلهة للملوك وآلهة للشعب، وفكرة الحساب بعد الموت والدار الآخرة عرفها القدماء المصريين قبل ظهور التوراة بقرون، الحقيقة أن عقيدة الحساب بدأتها المرأة المصرية القديمة، وفكرة العدل أيضا بدأتها المرأة المصرية القديمة، أو آلهة العدل، وهى أول من استيقظ فيها الضمير الإنسانى.

الإلهة معات: فى مصر القديمة كان الإنسان يقول لقلبه فى محكمة العدل: يا قلبى الذى أخذته من أمى وولدت به وعشت معه لا تشهد ضدى أمام أمى، فأنا لم أكذب ولم أسرق ولم أقتل.

الإله إيزيس: أمنا الكبرى «نوت» هى التى ربتنا على احترام العدل، وحين توليت العرش من بعدها قالت لى إن قدسية الإلهة لا تنبع من عبادة الناس لها ولكن من حكمها بالعدل، وكانت تقول لى دائما: إن السفر الطويل للبحث عن الإلهة ينتهى بمرآة يرى الإنسان فيها نفسه العادلة إلا أن الآلهة الذكور فى مصر أصبحوا هم آلهة الدولة، لأنهم انشغلوا بالحرب والقتال وانشغلنا نحن بالزراعة والعدل بين الناس. وكان آلهة الدولة يتغيرون بتغير النظام الحاكم، فى البداية كان حور، ثم جاء فى الدولة القديمة مفتاح، ثم تولى أتوم رع ثم جاء الإلهة آمين أو آمون المندمج بالاله «رع» فى الدولة الوسطى، وكان هذا الإله الحاكم يدخل باستمرار كضلع أكبر فى أسرة ثالوثية من الأب والأم والابن. كان الإله مثل الإنسان يتزوج وينجب. ثم دخل التثليث فى التتسيع، تكونت المجامع الإلهية الكبرى من التاسوع، وفى اليونان القديم كان آلهة الأولمب بالمئات. إن تعدد الآلهة ليس تخلفا، والتوحيد لا يعنى التقدم، فى الغرب المسيحى فى أوروبا وأمريكا حتى اليوم يؤمنون بالله والابن والروح القدس، أى ثلاثة آلهة أو التثليث

وهم ليسوا أكثر تخلفا ممن يؤمنون بالله الواحد الأحد، إن تعدد الآلهة كان تقدما فى الحضارة المصرية والحضارات النهرية الزراعية كالعراق القديم لكن البيئة الصحراوية تميل إلى التوحيد بحكم الصحراء فما أسهل أن يكتشف الرجل البدوى قيمة خروفه فى المرعى، وأهمية القمر فى ليل الصحراء الصامت، فيقارن بين قرنى الخروف وقرنى الهلال، هكذا أصبح الخروف قمرا فى أقنوم واحد، فى عهد نفرتيتى واخناتون انطفأت فكرة التوحيد سريعا لم تعش إلا ١٧ عاما فقط، وقد انتشر التوحيد بقوة السيف والقتل والتعذيب، قال الرب الأعلى فى كتابه القرآن:

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وينفون فى الأرض).

سيدنا محمد: هؤلاء الذين يسعون فى الأرض فسادا وليس الصالحين الذين يسعون إلى الخير والعدل.

سيدنا إبراهيم: نعم يا سيد محمد، لكن المشكلة من هو الذى يحدد الفاسد من الصالح، لقد كان آدم فاسدا يفسد فى الأرض ويسفك الدماء ومع ذلك أصبح خليفة الله فى الأرض.

سيدنا محمد: الله هو الذى يحدد الفاسد من الصالح.

سيدنا إبراهيم: لكن الله لا يعيش مع الناس على الأرض حين يحاكمهم الحكام ويطبقون عليهم هذه الآية، مثلا إن ملك

السعودية يقطع رقاب الشباب الذين يعارضونه بالسيف ويتلو تلك الآية من القرآن.

سيدنا محمد: وهناك شباب يحملون القرآن ويثورون ضد حكامهم طلبا للعدل والحرية.

سيدنا إبراهيم: هكذا يستخدم كتاب الله للدفاع عن الحق أو للدفاع عن الظلم لا فرق.

بنت الله: لهذا لا يوجد شئ اسمه كلمة الله المطلقة، كلمة الله نسبية تعتمد على القوة التى تستخدمها، وقد بدأت النساء تتضامن فى بعض البلاد وتمثل قوة جديدة، تستخدم التوراه أو الإنجيل أو القرآن من أجل تحرير النساء وليس من أجل عبوديتهن. مثلا لم يعد الله عند هؤلاء النساء يخاطب بلغة المذكر. إن أى دين يعطى الإله صفة الذكورة وان كانت لغوية يضع المرأة بالضرورة فى مستوى أقل من الرجل فى اللغة. إن اللغة الإنجليزية والفرنسية والعربية والعبرية وغيرها لغات ذكورية طردت النساء من اللغة، ليس اللغة فقط ولكن جملة الرموز فى الأديان السماوية كلها ضد المرأة بل ضد الفقراء أيضا، واذا كان الإله السماوى ذكرا فلابد أن يكون الحاكم الأرضى ذكرا أيضا، لأن الإله نموذج البشر، واذا قال الإله كلاما متناقضا أصبح التناقض أو الازدواجية سمة البشر. واذا كانت كلمة الله ضد المنطق والعقل أصبحت لغة البشر ضد المنطق والعقل.

سيدنا رضوان: كلمة الله يا فتاتى فوق المنطق وفوق العقل لكنها ليست ضد المنطق أو العقل.

بنت الله: وهذا تناقض أيضا يا سيد رضوان، فكيف تكون الكلمة منطقية ومع ذلك تتجاوز المنطق وتعلو عليه؟!

سيدنا رضوان: انت تقولين كلاما خطيرا فى حق الإله سبحانه وتعالى ما اسمك؟

بنت الله: اسمى «بنت الله».

سيدنا رضوان (فى فزع): أعوذ بالله ما سمعنا بهذا الاسم أبدا، اسمك يدل على الكفر.

سيدنا عيسى: لماذا يا سيد رضوان، إذا كان هناك ابن الله فلماذا لا تكون هناك بنت الله.

سيدنا موسى: ؟ قال الله فى التوراه: أنه له أولاد فقط وليس له بنات.

سيدنا إبراهيم (يضحك): يا سيد موسى هذا كلام قديم لابد من إرجاعه إلى زمانه ومكانه والا أصبح مضحكا اليوم.

حـــــواء: فى الزمان القديم أنجبت أنا وآدم عددا من البنات والأولاد، وكانت المشكلة دائما أن الابن الفاسد مثل أبيه كان هو الذى يصبح خليفة، وكان إبليس أحد أبنائى لكنه كان صالحا، يسعى إلى المعرفة والحقيقة مثلى، وأصبح خطرا يهدد سلطة الخليفة الأكبر، أنه الصراع على السلطة ليس إلا هو الذى جعل التاريخ البشرى مليئا بالدم.

بنت الله: وكم قتلت فى التاريخ نساء أولهن الأم الكبرى، فى بابل

ومنهن أيضاً مناة كانت إلهة الموت أمها فى مصر القديمة هى الإلهة سخمت، والإلهة العزى، كلمة العزى تعنى العزة والقوة، وكانت العزى امرأة سوداء فقيرة لها شعر قوى غزير، قوية العزيمة، ضربها خالد ابن الوليد بالسيف ففلق رأسها ثم قتل سادنها وقطع شجرتها، هذه هى الإلهة العزى التى آمن بها سيدنا محمد حين كان على دين قومه وأهداها شاة عفراء، وكان لها حجر مربع أبيض فى الطائف، أما الإلهة مناة فكان لها الحجر الأسود الذى يقدسه العرب، أما الملكة حتشبسوت فى مصر القديمة التى استقبلت سيدنا موسى وحكمت مصر أكثر من عشرين عاما، وزوجها كان أمينوفيس الثانى، أما فرعون الذى حارب موسى فهو منفتاح، وجسده المحنط موجود اليوم فى صالة المومياوات الملكية فى المتحف المصرى بالقاهرة، أليس فى ذلك تعارض مما جاء فى كتب الله.

سيدنا محمد: لا يا آنستى، قال الله فى القرآن الكريم أن فرعون حين أدركه الغرق والانهزام أمام جيش موسى وقومه قال: آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين، لكن الله أجابه قائلا: «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المعتدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية».

ربما تكون هناك تناقضات فى التوراة والإنجيل وربما دخل عليهما كثير من التحريف لكن القرآن الكريم هو كلام الله الصحيح الذى لم يحرفه أحد.

سيدنا إبراهيم: لا ياسيد محمد الكتب الثلاثة تم تحريفها وهذا طبيعى لأن النقل عن الرواة من البشر لابد أن يؤدى إلى تغييرات فى اللفظ والمعنى. وكان المفروض يا سيدى إذا أردنا الدقة والصدق أن تصل كلمة الله مباشرة من الله إلى الناس دون أنبياء ودون مفسرين ودون مترجمين، مثلا إن فرعون لم يكن يتكلم اللغة العربية، وجاء كلامه فى القرآن باللغة العربية فكيف هذا؟ إن جزءا من المعنى يضيع بالضرورة من خلال الترجمة إذ لا يمكن أن نفصل الحرف عن معناه، وكان المفروض يا سيدى أن تصل كلمة الله إلى الناس مباشرة بلغاتهم المحلية دون حاجة إلى مترجمين أو مفسرين أو حتى أنبياء. أنا مثلا حين كان الله يخاطبنى لم أكن أستوعب كل ما يقوله بالحرف الواحد، وكنت أنقل عنه للناس من خلال إدراكى لما قال، وهكذا تتغير كلمة الله دائما حين تصل إلى الناس من خلال البشر، وقد جاءت التوراة باللغة العبرية ثم ترجمت إلى اليونانية فى عهد بطليموس فيلادلفوس عام ٢٨٥ قبل ميلاد السيد عيسى، أرسل بطليموس إلى العازر رئيس الكهنة فى طلب نسخة من التوراة ومعها ٧٢ مترجما، ستة من كل سبط، فاستجاب العازر لهذا الطلب، وجاء الوفد واصطحب ديمترويس (أحد أعوان بطليموس) إلى جزيرة منعزلة فأنجزوا العمل فى ٧٢ يوما ونالوا هدايا ثمينة من الملك، وقد اعتكف المترجمون كل فى غرفة مستقلة، وكانوا يترجمون

كلمة تلو الأخرى، أو كانوا اثنين اثنين ومعها كاتب، هذه الترجمة تمت بناء على طلب الامبراطور المصرى لصالح المكتبة الملكية بالاسكندرية، ولا يخفى عليك يا سيدى أن هناك مصطلحات كثيرة فى اللغة العربية لا مثيل لها فى اليونانية، كما أن المترجم لا يمكن أن يتخلص من فهمه الخاص للنصوص، مثلا أحد المترجمين واسمه سمعان الشيخ أراد أن يترجم قول شعياء النبى«هو ذا العذراء تحبل (٧:١٤) إلى هوذا الفتاة تحبل) والفرق كبير بين كلمة عذراء وكلمة فتاة، وهناك ألفاظ كثيرة تغيرت وتغير معناها بين النسخة العبرية الأصلية والترجمة السبعينية. والسؤال يا سيدى لماذا بذل الامبراطور بطليموس فيلادلفوس كل هذه الأموال والهدايا ليترجم التوراة وينشرها على شعبه؟! هل يعرف أحد ماذا كان يفعل هذا الامبراطور بمن يخالفه الأمر؟ كان يذبحهم ويحرقهم ويصلبهم وقد وجد مثله الأعلى فى ربنا الأعلى والدليل المادى فى كتابه التوراة.

سيدنا رضوان: ماذا جرى لك يا سيدنا إبراهيم؟ هل كفرت بربنا الأعلى؟

سيدنا إبراهيم: لا يا سيد رضوان ولكنى أريد لربنا أن يكون المثل الأعلى للحق والعدل الرحمة واعتقد أن كتبه الثلاثة لم تعد صالحة ولابد من كتاب رابع يصحح به الكتب الثلاثة السابقة وينزل به للناس دون وسيط دون رسول دون

مفسر دون مترجم حتى تكون كلمته هى كلمته الأصلية ومعناها واضح مفهوم للناس من مختلف الشعوب واللغات واللهجات. إن جميع الأنبياء وأولهم أنا أيها السادة، وجميع المفسرين والشارحين لكتب الله، قد وقعوا جميعا تحت نفوذ الأباطرة والملوك والحكام الفاسدين من الامبراطور فيلادلفوس إلى فهد فى السعودية، وبنيامين نيتانياهو فى إسرائيل، وهؤلاء الحكام الذين يذبحون الشعوب فى زائير ورواندا، وجنوب أفريقيا، وشمال أفريقيا، وآسيا، وأوروبا، والأمريكتين، وأستراليا، وهؤلاء الذين استولوا بالأمس على كابول عاصمة أفغانستان ومنعوا النساء والفتيات من التعليم والعمل تحت إسم الله.

سيدنا محمد: لا يا سيدنا إبراهيم هؤلاء لا يعرفون الله.

سيدنا إبراهيم ومن الذى يعرف الله؟

سيدنا محمد: نحن الأنبياء عرفنا الله.

سيدنا إبراهيم: وما الفرق بيننا وبين الناس من الشعب؟

سسيدنا محمد: لقد حلت إرادة الله فى الرسل والأنبياء.

بنت الله: ولماذا لا تحل إرادة الله فى جميع مخلوقاته بالعدل والقسطاس؟

(هنا تقف رابعة العدوية. كانت صامتة جالسة بين صفوف النساء رفعت يدها.)

سيدنا رضوان: تفضلى يا سيدة رابعة

رابعة العدوية: كل مخلوق أيها السادة يدل على الله وما من واحد ينم عنه. من خلال حبى العميق لله وجدته فى نفسى. ليس من الممكن اكتشاف وجودنا الحقيقى دون الانفصال عن ذواتنا. افناء الذات هو الشرط الأول للحب والاندماج بالله. الله هو القوة العليا التى تجعل الإفناء للذات ممكنا. إفناء الذات للوصول إلى الذات الإنسانية المتجردة عن «الأنا». لكنها هى «الأنا» فى اندماجها بالآخر. بالله والطبيعة والناس وتاريخ البشرية. أنا وجدت نفسى أيها السادة فى الله. جاهدت طويلا وسافرت كثيرا أبحث عن الله، وانتهى جهادى وسفرى الطويل بهذه المرآة رأيت فيها نفسى. بلغت قمة السعادة حين وجدت نفسى فى ذات الله. لكننى قبل أن أجد أنفسى أفنيتها فى الآخر وهو الله.

الإيمان بالله هو الحب. حب الله والطبيعة والناس والجمال والاستعداد للموت وافناء الذات من أجل هذا الحب. إن الموت فى سبيل هذا الحب ليس موتا ولكنه عودة إلى الحياة الحقيقية، الحياة التى نعثر فيها على ذواتنا الحقيقية.

إيـزيس: هذا كلام جميل يا سيدتى رابعة، ونحن نعتبرك الأم الأولى للفلسفة الصوفية، لكن التاريخ المكتوب أهملك لأنك لم تتركى وراءك كتبا مطبوعة مثل ابن عربى الذى تبناه بعض رجال الحكم وحفظوا أقواله وطبعوها، كما حدث مع الأنبياء من إبراهيم إلى محمد فقد تبنى أقوالهم خلفاء أقوياء فى السلطة

الحاكمة جمعوا هذه الأقوال وطبعوها لولا ذلك لإندثر فى التاريخ هؤلاء الأنبياء، لولا الكتب الثلاثة الموجودة الآن «التوراة والإنجيل والقرآن» والتى يعيد طبعها بالملايين الملوك والحكام اليوم لما عرف الناس شيئا عن النبى إبراهيم أو موسى أو عيسى المسيح أو محمد نبى المسلمين، ولما عرف الناس شيئا عن الله السماوى الذى اختاره إبراهيم من مجموعة الآلهة «إلوهيم» وهو الله السماوى نفسه الذى عبده موسى ثم محمد، وكلمة الله هى كلمة عربية محرفة عن كلمة«اللاه» وهذه فى أصلها كانت «اللاه» تكتب بالتاء المربوطة أو التاء المفتوحة «اللات». وكانت هى الإلهة الأنثى المعبودة فى الجزيرة العربية مع الإلهتين «مناة» أو «منات» والإلهة «العزى».

قام الصراع على الأرض والمال بين القبائل التى كانت تعبد الإلهات الإناث والقبائل الأخرى التى بدأت تعبد الآلهة الذكور ومنهم الإله بعل والإله يهوه والإله اللاه وغيرهم كثيرون. الصراع كان يدور حول الأرض والمال لكنه يدور تحت اسم أحد الآلهة كما يحدث عندنا فى مصر القديمة. كان الناس فى مصر يعبدوننى أنا إزيس إلهة الحكمة والمعرفة والملاحة. أنا التى كنت أرشد الملاحين والسفن فى البحر الكبير. أنا التى علمت المصرين والمصريات زراعة الحنطة والشعير. علمتنى أمى «نوت» كيف أضع البذرة

وأردمها بالتراب وأرويها بماء النيل وأنتظر حتى يظهر النبت الأخضر. كانت أمي حين تنتظر النبت الأخضر تنظر إلى حركة الشمس بانبهار وحركة القمر بالليل. هكذا اكتشفت أمي الزمن أو الوقت أو الساعة الشمسية. قسمت الزمن حسب القمر وحركة الشمس. حسبت النهار بخطوط فوق الأرض رسمتها كالأرقام كما رأت أمها نون تفعل. حسبت الليل ثم حسبت اليوم كله والأيام السبعة أو الأسبوع، وحسبت الحول أو السنة، وجدتها ٣٦٥ يوما ثم أضافت لها خمسة أيام سمتها أيام النسئ، وهى الأيام الخمسة الزائدة عن الشهور فى تلك السنة التى سمتها أمى بالسنة المختلة أو السنة الكبيسة، إن سنة التقويم الشمسى تنقص عن دورة الشعرى يوما فى كل أربع سنوات. والسنة تنقص ٤/١ يوم. حسبتها أمى فوق الأرض بالأرقام ٣٦٥ ×٤=١٤٦٠ يضاف إليها يوم واحد = ١٤٦١ . هكذا وجدت أنه كلما مضت ١٤٦١ يوما إعتدل الحساب من جديد، وعادت الشعرى اليمانية تظهر قبل شروق الشمس فى أول شهر توت. نحن النساء يا سيدة رابعة بدأنا العلوم وأولها علم الزراعة وعلم الفلك والحساب والجبر والهندسة وفنون الموسيقى والشعر ونحن أول من كتب الحروف والأرقام وعلم الناس أسماء النجوم والكواكب وكانت الأم تعلم ابنتها وحفيدتها وتنتقل المعرفة من جيل إلى جيل ومنها أسماء النجوم وعلم الفلك، وفى صعيد مصر بنينا البروج الفلكية خاصة

البرجين فى سقوف معبد دندرة وبرجين بالقرب من إسنا، فى إسنا تبدأ البروج بالعذراء وفى دندرة تبدأ بالأسد. بنينا معبدى إسنا حين كانت الشمس فى فلك العذراء، ومعبد دندرة حين كانت الشمس فى فلك الأسد، وهذا معناه أن معبدى اسنا عمرهما سبع آلاف سنة أما معبد دندرة فإن عمره أربع آلاف سنة.

سيدنا رضوان: ما هذا الكلام يا سيدة إيزيس، هذا كلام غلط، لأن الله هو الذى علم آدم الأسماء منها أسماء النجوم.

بنت الله: لا ياسيد رضوان إن كلام جدتنا إيزيس صحيح، وقد نشرته جريدة المونيتور بالقاهرة فى عددها الصادر ١٨ أغسطس ١٨٠٠ وثارت ضجة فى أوروبا واعترضت الكنيسة التى كانت تؤمن بالكتاب المقدس وتعتقد أن عمر البشرية هو العمر الوارد فى التوراة.

سيدنا إبراهيم: التوراة ثلاثة أنواع عبرية وسامرية وسبعونية وفى كل واحدة منها رقم مختلف لعمر البشرية يتراوح من ٢٠٢٣ إلى ٢٣٢٤ إلى ٣٣٨٩ سنة.

بنت الله: فى عام ١٧٩٣ بدأ (ديبوا) المعركة بعد أن درس البروج المصرية الفلكية وقال إن حضارة مصر ترجع إلى ١٥ ألف سنة، وثارت الكنيسة فى أوروبا لأن هذا الاكتشاف العلمى جاء مخالفا لنصوص الله فى التوراة. وفى عام ١٧٩٨ غزا نابليون مصر.

وزار علماؤه الصعيد وشاهدوا الابراج الأربعة فى سقوف معبدى دندرة واسنا. وفى يناير ١٨٨٢ سرق

برج دندرة من مصـر إلى مرسليـا ثم باريس بواسطة «ليلورين» واشترته حكومة لويس الثامن عشر بمبلغ ١٥٠ ألف فرنك ووضعته فى متحف اللوفر. لعن رجال الكنيسة برج دندرة وسموه بالحجر الأسود الحقير» أو أداة» لبث الإلحاد وانكار الله.

ثارت معركة حامية بين رجال الكنيسة يقودهم الأب«تيستا» وعلماء الآثار يقودهم«ديبوا»، وادعى الأب تيستا أن بروج إسنا ودندرة ترجع إلى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح وبالتالى لا تخالف كلام الله فى التوراة، دامت هذه المعركة من ١٧٩٣ حتى ١٨٨٠ ثم انهزمت الكنيسة ورجالها أمام الحقائق التى أثبتها العلماء فى مصر وفرنسا وألمانيا وانجلترا، ومنهم شامبليون الذى قرأ الأوراق البردية وحروف اللغة المصرية الهيروغلوفية، واعترفت الكنيسة أن التاريخ المذكور فى التوراة ليس هو الصحيح. وبدأ علم الآثار المصرى الحديث يثبت أن أول انسان ظهر على الأرض لم يكن هو سيدنا آدم الذى جاء عمره فى التوراة ولكن آدم آخر عمره أكثر من خمسين ألف عام وحواء أخرى هى التى ولدت ادم وهى امرأة إفريقية سوداء البشرة.

(رابعة العدوية كانت واقفة لا تزال فى يدها المرآة تنظر فيها. وجه رابعة العدوية أبيض البشرة أو قمحى اللون. ليس أسود).

بنت الله (تخاطب رابعة العدوية): وأنت يا سيدة رابعة تقولين أن سفرك

الطويل باحثة عن الله قد انتهى بك إلى هذه المرآة ترين فيها وجهك. أليس كذلك؟.

رابعة العدوية: نعم يا سيدتى أو آنستى. هل أنت سيدة أم آنسة؟!

بنت الله: ما الفرق بين السيدة والآنسة؟

رابعة العدوية: الآنسة عذراء لم تتزوج بعد.

بنت الله: هل تسألين الرجال هذا السؤال يا سيدة رابعة؟!

رابعة العدوية: لا يا سيدتى أو آنستى.

بنت الله: لماذا؟.

رابعة العدوية: لأن العذرية ليست جزءا من شخصية الرجل قبل الزواج، ولا يولد الرجال بغشاء بكارة.

بنت الله: ولماذا يكون غشاء البكارة جزءا من شخصيتى يا سيدة رابعة؟

رابعة العدوية: لأنك بنت.

بنت الله: وماذا عن البنات اللائى يولدن بدون غشاء بكارة؟ إن ٢٥٪ من البنات يا سيدتى يولدن بدون هذا الغشاء؟ وإذا أردت أن أعرفك بقصتى فأنا أقول أننى إنسانة كاملة الأهلية ولدتنى أمى عام ١٩٧٥ فى قرية صغيرة بالقرب من البحر ورأيت أبى يقتل أمه، ضربها بالفأس الذى كانت تزرع به الأرض لتطعمه، وهرب أبى من أمى بعد مولدى لأنه أراد ابنا ذكرا يرث اسمه واسم أبيه، اشتغلت أمى بالفأس فى الأرض لتعلمنى فى المدارس والجامعات، دخلت الجامعة قسم التاريخ،

وأصبحت أستاذة أحمل درجة الدكتوراة، فهل يكون غشاء البكارة جزءا من شخصيتى يا سيدتى؟. هذا الغشاء الذى ربما لم أولد به أو تمزق وأنا أقفز السلم أو أركب الدراجة أو الحصان أو ربما أعتدى على رجل حين كانت أمى تتركنى عند الجيران وأنا طفلة فى الثامنة من عمرى وتذهب إلى الحقل.

رابعة العدوية: أعوذ بالله هل هناك رجل يمكن أن يلمس طفلة فى الثامنة؟

سيدنا إبراهيم: نعم يا سيدتى كان هناك رجال بل أنبياء يتزوجون بنات أطفال فى سن الثامنة وأحيانا السابعة. إن الأخلاق مثل اللغة مثل أى شئ تتغير حسب الزمان والمكان، على أيامنا كان الرجال يقدمون زوجاتهم إلى الأعداء الرجال فدية لهم، وأنا نفسى قدمت زوجتى إلى فرعون مصر لتشاركه الفراش لعله يؤمن لى حياتى، كذبت عليه وقلت له أنها أختى.

بنت الله: أشكرك يا سيدنا إبراهيم على هذه الملاحظة وهى حقيقة تاريخية وردت أيضا فى كتاب الله التوراة، لكنى أريد أن أسأل السيدة رابعة العدوية سؤال.

رابعة العدوية: تفضلى يا سيدتى أو آنستى، آه متأسفة، تفضلى يا أستاذة أو يا دكتورة.

بنت الله: وأنت تنظرين فى المرآة ماذا ترين؟

رابعة العدوية: أرى وجهى.

بنت الله: هل يمكن أن تصفى لنا هذا الوجه.

رابعة العدوية: (تنظر فى المرآة) وجه امرأة بيضاء البشرة قمحية اللون شعرها طويل أسود (تضحك).

بنت الله: أنت قلت لنا رأيت الله فى وجهك. داخل المرآة فهل يكون وجه الله مثل وجهك

رابعة العدوية: نعم ولم لا؟ أنا أرى الله فى نفسى.

سيدنا رضوان: أستغفر الله العظيم لا يمكن أن يكون لربنا الأعلى وجه إمرأة أستغفر الله العظيم!.

سيدنا محمد: ربنا سبحانه وتعالى ليس له وجه ولا يد ولا لسان ولا جسد. إنه سبحانه وتعالى روح بلا جسم.

سيدنا إبراهيم: وكيف عرفت هذه الروح يا سيد محمد؟

سيدنا محمد: رأيتها فى النوم وسمعت صوتها فى غار حراء تنادينى وتقول إقرأ باسم ربك الذى خلق.

سيدنا إبراهيم: أكان هو صوت الله يا سيد محمد؟

سيدنا محمد: نعم يا أبونا إبراهيم

سيدنا إبراهيم: كيف عرفت أنه صوت الله.

سيدنا محمد: سيدنا جبريل قال لى إنه صوت الله.

سيدنا إبراهيم: هل كان صوت امرأة أم صوت رجل؟.

سيدنا محمد: صوت رجل.

سيدنا إبراهيم: ولماذا صوت رجل؟ لماذا لا يكون صوت امرأة؟ هذه هى المشكلة يا أيها السادة والسيدات والانسات نأسف

فلنحذف كلمة آنسات، هذه هى المشكلة أيها السادة والسيدات إن الله قد ظهر لنا على شكل رجل وبصوت رجل مما يدل على أن هذه الصورة تدل علينا نحن الرجال أكثر مما تدل على الله، نحن الرجال تخيلنا أو تصورنا فى أحلامنا أن الله لابد أن يكون له شكلنا وصوتنا بل أخلاقنا أيضا وأحلامنا بالعذراوات البيضاوات الحور العين فى الجنة ولأننا كنا نشرع الخيانة الزوجية لنا فقط نحن الرجال، فقد نقلنا هذا الواقع إلى خيالنا، ولهذا غابت أسماء النساء العظيمات من النصوص الإلهية فى الكتب الثلاثة السماوية، إن قوة المرأة أو قوة الرحم التناسلية غائبة فى كتب الله، وطغى النسب الأبوى على أسماء الأمهات، فى التوراة مثلا أيها السادة والسيدات عرفنا مواليد آدم كلهم أبناء ذكورا ابتداء من إبنه الأول شيثا ثم أنوش حتى نصل إلى نوح وابراهيم حوالى ٣٣٨٩ سنة كلهم أبناء ذكور ومن إبراهيم إلى عيسى المسيح حوالى ٢٢٠٠ سنة كلهم أبناء ذكور المدة من آدم حتى عيسى المسيح ٥٥٨٩ سنة كلهم ذكور كيف هذا أيها السادة والسيدات؟!

سيدنا رضوان: يا سيدنا إبراهيم لابد أن نميز بين الأحداث الحقيقية والأحداث الأدبية الخيالية فى كتب الله سبحانة وتعالى فهناك ما هو حقيقى وهناك رموز أو تورية أو خيال.

سيدنا إبراهيم: خيال أو تورية؟ إن البشر فقط يلجأون إلى التورية لإخفاء

الحقيقة بسبب عجز البشر ليس إلا أو خوفهم من بطش الحكام فيلجأون إلى الرموز لكن الله لا يخاف من الحكام ولا يعجز عن نقل الحقيقة فلماذا يلجأ إلى الرموز، ثم لماذا تكون كل هذه الرموز ذكورية والأسماء كلها أسماء رجال؟! ومن الذى يميز الحقيقة والرمز أو التورية؟!

سيدنا رضوان: هذه مجرد أفكار يا سيدنا إبراهيم والله ـ سبحانه وتعالى ـ هو العليم الحكيم.

بنت الله: هذه الأفكار يا سيدنا رضوان تصبح قوة مادية حين تسيطر على الناس، تتحول إلى أسلحة للقتل فى يد الحكام أو قوانين إعدام أو قرارات بمنع النساء من الخروج للعمل أو التعليم. هل سمعت الأخبار يوم ٣ أكتوبر ١٩٩٦؛ إن حركة الطالبان التى إستولت على الحكم فى مدينة كابول عاصمة أفغانستان قد منعت النساء من الخروج للعمل أو للمدارس، كل ذلك تحت اسم القرآن الكريم. وفى ١٦ يناير ١٩٩١ حمل چورج بوش الإنجيل فى يده وهو يعطى الأوامر بالقاء آلاف القنابل على مدينة بغداد. وفى الشهر الماضى حمل بنيامين نتانياهو التوراة فى يده وهو يأمر بذبح الفلسطينيين فى مدينة رام الله، وفى السعودية والكويت والصومال وزائير والبوسنة وروسيا وأمريكا وأوروبا فى كل بلاد العالم يحمل الحكام كتب الله وهم يصدرون أوامر الحرب أو القتل أو النهب وسرقة ثروات الشعوب

الأخرى. ألا تعرفون أيها السادة أن الاستعمار منذ نشوئه حتى اليوم يستخدم كلمة الله لاستعمار الآخرين ونهب أراضيهم ومواردهم الخام، والسادات فى مصر كان يبدأ خطبه باسم الله ثم يتلو على الناس قرارات البنك الدولى أو صندوق النقد أو غيرها من أدوات الاستعمار الجديد.

سيدنا إبراهيم: نعم أيها السادة والسيدات هناك عالمان أحدهما حقيقى يعيش فوق الأرض ترويه دماء الحروب والاغتصاب والاستعمار القديم والجديد، وهناك عالم آخر غير حقيقى، عالم متخيل يعيش فيه الله فى السماء لا يمتلك إلا الأفكار، وهذه الأفكار هى التى تتحول إلى قوة مادية فى يد البشر فوق الأرض، هكذا لا يوجد انفصال بين الحقيقة والخيال، أو بين السماء والأرض، أو بين الله والإنسان كلاهما واحد، ولابد أن يظهر الله على شكل إنسان وإلا ما عرفناه وما تصورناه وما أحببناه، هل يمكن يا سيدة رابعة أن تحبى الله كل هذا الحب لو ظهر لك على شكل ثعبان!

رابعة العدوية: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

سيدنا إبراهيم: الثعبان أيها السادة والسيدات لم يكن شيطانا ولم يكن عدوا للبشر، فمن الذى وضع العداوة بينهما؟! أليس هو إله التوراة الذى أوعز إلى آدم وحواء أن عدوهما هو الثعبان أو الحية الذكية التى دلتهما على شجرة المعرفة، وفى القرآن أيضاً قال الله لآدم وحواء أن يهبطا

إلى الأرض وأمر بعضهم أن يكون عدوا للآخر. كان البشر أيها السادة والسيدات يعيشون بلا عدو وبلا حرب ولا قتل حتى جاءهم الإله يهوه إله الزلازل والبراكين والحروب ولم يكن لهذا الإله أن يعيش دون أن يقاتل عدوا، فإن اختفى العدو أو مات فلا بد له أن يخلق عدوا من خياله كما خلق إبليس، ويقول عنه الشيطان: وبدون الشيطان لا يمكن أن يستمر النظام فى عالمكم اليوم، كانت الشيوعية هى الشيطان حتى سقوط حائط برلين والاتحاد السوفياتى فأصبح العدو الجديد هو من أيها السادة والسيدات؟.

سيدنا محمد: العدو الجديد أصبح العرب والمسلمون.

بنت الله: والفقراء والنساء من جميع الملل والأديان، أنظروا الآلاف يموتون ويقتلون من النساء والأطفال فى زائير وراوندا.

(الجميع فى حالة من الصمت والوجوم، وأخيراً يحرك الرب الأعلى يده مشيرا إلى سيدنا رضوان).

سيدنا رضوان: والآن أيها السادة والسيدات والآنسات، متأسف لاداعى لكلمة الآنسات، الآن أيها السادة كلمة ربنا الأعلى حفظه الله وأنجاه، (يتدارك الخطأ) معذرة أقصد كلمة ربنا الأعلى حفظ نفسه وأبقى نفسه إلى أبد الآبدين.

ربنا الأعلى (بصوت هادئ حزين مملوء بالشجن)

لا يا رضوان لم أعد راغباً فى البقاء إلى أبد الآبدين. لقد مللت الخلود والوحدة والانعزال عن الناس فى

السماوات العليا، حين طلبتم منى الحضور لإجتماع
القمة هذا جئت إليكم بهذا الشكل الآدمى وإلا فزعتم
من أى شكل آخر. أردت أن أهبط إليكم على شكل
«روح» لكن الروح لا شكل لها ولا وجود لها إلا فى
الخيال كيف يتحول الخيال إلى مادة أو قوة، هذه هى
كتبى السماوية حين تطبع وتتحول إلى دساتير تحملها
الأحزاب الدينية، وهى أحزاب سياسية تتصارع على
السلطة على الأرض والمال كما هو حادث فى العالم
كله شرقاً وغرباً وشمالاً،جنوبا وقد غضبت مثلكم
بسبب المذابح التى ذهب ضحيتها الآلاف من الشعب
الفلسطينى أو الشعوب الآخرى فى أفريقيا وآسيا
وغيرها، وغضبت مثلكم لما يحدث من قهر للنساء
باسمى أو نهب لموارد الشعوب وأراضيها باسمى،
وكنت غارقا مستغرقا فى عبادة ذاتى لأكثر من خمسة
آلاف عام لأفرض عليكم عبادتى وأنا مجرد فكرة فى
الخيال، وبعد أن استمعت بأذنى إلى كل أقوالكم
وأقوالكن، أنتم الرجال وأنتن النساء أعترف (لكم
ولكن) أننى قد تحيزت للرجال دون النساء وجعلت
الرجل مسيطرا على المرأة دون وجه حق، وتحيزت لقوم
إبراهيم ووعدتهم بأرض شعب آخر دون وجه حق،
لقد وقعت فى أخطاء وتناقضات كثيرة لكنى كنت
دائما أعود إلى طبيعتى الإنسانية الأولى وأعود إلى الخير
والعدل والمساواة والرحمة والحب، وربما لهذا السبب
بقيت كتبى الثلاثة حتى اليوم. إذ وجدت فيها

الشعوب المقهورة والنساء المقهورات سلاحا للدفاع
عن حقوقهم وحقوقهن. كما وجد فيها أيضا الملوك
ورؤساء الدول والحكومات سلاحا لقهر الشعوب
والنساء والفقراء.. لكن أيها السادة والسيدات إن
البشرية تتقدم إلى الأمام، ولم يعد أحد يرجع إلى
نظرية الخلق التى وردت فى كتابى أصبح العلم
الحديث هو المرجع الوحيد للمعرفة الحقيقية، ولم تعد
كتبى إلا للحفظ فى المتاحف وفنادق الفقراء، وأقسام
التاريخ، والدين فى المدارس والجامعات، هذا من
الناحية الأكاديمية فقط، لكن من الناحية السياسية أو
الاجتماعية أو الثقافية فلا تزال كتبى هى الأساس رغم
التقدم فى العلوم الأخرى، وهذا خطير أيها السادة
والسيدات، هذا الانفصال بين العلم والسياسة
والثقافة، وهو انفصال أنا المسئول الأول عنه لأنى
فصلت الجسد عن العقل أو الروح، فى حين أنه لا
يوجد جسد بدون روح ولا توجد روح بدون جسد
وعقل. هذه الفكرة لم تكن فكرتى فى الأصل، نقلتها
عن الملكة «تى» أم الإله اخناتون، وهو نقلها عن أمه
ثم حذف اسم أمه من التاريخ، ونقلت عن إخناتون
كلماته ووضعتها فى كتابى التوراة دون أن أشير إليه،
بل إن فكرة وجود الروح منفصلة عن الجسد لم تكن
فكرتى فى الأصل، ولكنها فكرة الآلهة الفراعنة
الذكور فى مصر القديمة فى حربهم ضد الإلهه الأم
الكبرى إلهة الحكمة والخصب والطبيعة. اخترعوا

فكرة تقول أن لكل طفل يولد شبيهان له يولدان معه ولا تراهما العين البشرية، لا تراهما إلا عين الإله فرعون، الشبيه الأول إسمه «كا» والشبيه الثانى إسمه «با» وهما الروح التى تلبس جسم الطفل حتى يكبر ويموت ثم يفارقان جسمه ويطيران فى السماء على شكل طائر هو الروح. واخترعوا فكرة عقاب الأرواح بعد الموت على يد إلهة تشبه الوحش هى عدوتهم الإلهة نوت، وكانت إلهة السماء، وزوجها جيب إله الأرض. واخترعوا دار الحساب فى الحياة الأخرى بعد الموت، وجعلوا فيها ميزانا يزن السيئات والحسنات، وكان يوضع مع كل ميت فى القبر كتاب اسمه كتاب الموتى، وقد أخذت عنهم كل هذه الأفكار ووضعتها فى كتبى الثلاثة عن الحياة الأخرى والجنة والحقيقة أيها السادة والسيدات أننى كنت أعيش فى مصر القديمة، وكنت أسعى إلى الحكم بعد أن أحارب فرعون واقتله، عاصرت الفراعنة وقت رمسيس الثانى الذى حكم مصر من ١٣٠١ حتى ١٢٣٥ قبل مولد عيسى المسيح الذى جعلته ابنى، أما موسى فقد عاش فى مصر معى فى عهد رمسيس الثانى وكان يسمى الفرعون منفتاح وهو «فرعون الخروج» الذى حاربته وانتصرت عليه مع موسى وقومه إسرائيل. كانت هى الحرب انتصرنا فيها وتصادف أن هجم على مصر من الصحراء أسراب من الجراد فانتهزت الفرصة وقلت أنا الذى أرسلت هذا الجراد، أما الفراعنة الأغنياء

والطبقات العليا فقد نجوا جميعا من الأذى، هكذا كنت أوجه ضرباتى دائما إلى الضعفاء الفقراء من النساء والأطفال والعبيد، وكانت عمليات الختان والاخصاء تجرى للعبيد فقط ولا تجرى للآلهة الفراعنة أو الأسياد، وحين صارت مصر تحت حكم المقدونيين بعد انتصار الأسكندر الأكبر المقدونى، ٣٣٤-٣٢٣ قبل مولد عيسى المسيح وانشئت عاصمة جديدة على شاطئ البحر سميت الأسكندرية على اسم الغازى الأسكندر الأكبر فرض الحكام الجدد اللغة اليونانية على الشعب المصرى بدلا من اللغة المصرية، وتم إلغاء ديانة إزيس التى كانت تدعو إلى العدل والمحبة والحرية، وقتل كهنة إزيس وحرقت كتبها وصورها، فرض على الشعب المصرى عبادتى من خلال كتابى التوراة المترجم إلى اليونانية السكندرية وهى الترجمة السبعينية، وبعد موت الأسكندر الأكبر إستولى البطالمة على مصر وفلسطين التى وقعت تحت حكم ملوك سوريا السلوقيين ١٩٨ قبل ميلاد المسيح، وفى جميع الأحوال أيها السادة والسيدات لم تكن ترجمة كتابى التوراة أو الأنجيل أو القرآن تتم إلا بقرار من الحاكم المسيطر. أنتم تقولون أن الحكام كانوا يحاربون باسمى، لكنى كنت أحارب باسم الحكام فى الحقيقة، وكنت واحدا من الفراعنة إضطر للفرار من مصر وأراد أن يشيد امبراطوريته فى أرض كنعان وفلسطين مع موسى وبنى إسرائيل، ولهذا جاءت التوراة باللغة

العبرية لأنى كنت أخاطب قومى من بنى إسرائيل ولم أكن أخاطب الشعب المصرى المحكوم برمسيس الثانى.
هذا هو تاريخى أيها السادة والسيدات وقد حذفت إسم أمى من التاريخ كما فعل أخناتون وحذفت أم آدم أيضا ووضعت نفسى مكان الأم الكبرى التى ولدت أول إنسان على الأرض. وجعلت نفسى خالق الكون فى ستة أيام حتى جاء العلم الحديث فكشفنى ولا يمكن لى بعد اجتماع اليوم أن أستمر فى هذه اللعبة ولابد من وضع الأمور فى نصابها، والاعتراف بالخطأ، فالاعتراف بالخطأ أفضل من الاستمرار فيه، وقد آن لهذا العالم أن يواصل حياته وتقدمه بدون إله وبدون شيطان أيضا، وبدون هذا التقسيم الخطير بين الجسد والروح، هذه الآفة التى عذبت الإنسان أكثر من خمسة آلاف عام، وجعلت الجسد أدنى من العقل والروح، لأصبح أنا العقل وأنا الروح العليا، ويصبح الإنسان بجسده هو الأدنى، انقسم الإنسان إلى رجل يرمز إلى العقل البشرى، وإلى امرأة أدنى ترمز إلى الجسد والعقل والروح كما وضعت عداوة بين الإنسان والطبيعة والكائنات الحية الأخرى ومنها الحية والثعبان.
إن أخطر شئ يهدد قوة الإنسان هو ذلك التقسيم، لكنى كنت فى حاجه إلى أضعاف الإنسان لأكون أنا الأقوى، حتى يصبح الإنسان عبدا يعبدنى، ويخاف من نارى أو يطمع فى جنتى. لم يحبنى أحد حبا حقيقيا لأن الحب والخوف لا يجتمعان فى قلب واحد أنا فى

حاجة إلى الحب أيها السادة والسيدات، الحب الحقيقى بلا خوف من نار أو طمع فى جنة، هذا الحب لم يقدمه لى أحد من البشر إلا رابعة العدوية، لم تكن تطمع فى الجنة أو تخاف النار، لكنها وقعت فى الخطأ الذى أنا سببه الأول، فصلت رابعة بين الجسد والروح، فصلت بين جسدها وروحها، حين كانت تنظر فى المرآة لم تكن ترى لا وجهها ولا وجهى وإنما هى نصوص وحروف مطبوعة فى الكتاب الإلهى. لم تكن ترى فى المرآة إلا صورتى فى خيالها وخيال الناس.
صورة من وحى الخيال كانت تراها، عاشت رابعة فى الخيال. لم تعش حياة المرأة الحقيقية. حكمت على جسدها بالإعدام كى ترانى فى مرآتها، وهذا ظلم أيها السادة والسيدات، وإن كنت أنا خالقكم نساء ورجالا فقد خلقتكم نساء ورجالا بأجساد وعقول وأرواح متحدة داخل كيان الجسد.

إذا حرم الجسد من حياته ورغباته حرم العقل أيضا وحرمت الروح أيضا. لهذا السبب لم تكن رابعة العدوية سعيدة فى حياتها الحقيقية كما كانت هى سعيدة فى حياتها الخيالية الوهمية. إنى أشعر بتأنيب الضمير فهذه المرأة التى أعطتنى كل هذا الحب لم أعطها أنا إلا الحرمان. كنت إلها قاسيا فى الحقيقة أعوض عن قسوتى بالكلام عن الرحمة والعدل، كنت أنا أيضا منقسما على نفسى أفصل بين جسدى

وروحي، أنكر جسدى وأتصور أننى لست إلا روحا فى الهواء، وحين جاءت اللحظة الحاسمة لأهبط إليكم فوق الأرض لم يكن لى مفر إلا الرجوع إلى الحق وارتداء جسدى الذى ترونه أمامكم أيها السادة والسيدات، وهو جسد رجل يدعى أنه ليس بشرا، وجسد إنسان يدعى أنه إله، وقد آن الأوان أن أظهر على حقيقتى، وأعلن عن استقالتى من منصبى، منصب الإله الواحد الخالد إلى الأبد، إن الخلود نقمة وليس نعمة. تصوروا الحياة بلا موت ماذا تكون؟ إنى أفضل أن أكون إنساناً ميتاً يستمتع بالحياة والحب، والجنس، والحرية، وجميع زينات الدنيا عن أن أكون إلها حيا بلاحياة ولاجنس، ولاحب ولا حرية إلا الفراغ الخالد. إن قضية الحب مثل قضية الحرية لا تتجزأ، وإذا خلت السماء من الحب والحرية خلت الأرض أيضاً من الحب والحرية، وإذا كان إله السماء دكتاتوريا فهل يعرف الحكام فوق الأرض شيئاً آخر غير الدكتاتورية؟!

(الصمت يدب فى القاعة. الجميع جالسون صامتون واجمون.)

يختفى الضوء ثم يظلم المسرح تماما.

تسمع دقات قوية على الباب.

يضاء المسرح، الذى أصبح خاليا إلا من بنت الله.

اختفت الشخصيات الأخرى فى المسرحية.

تستمر الدقات على الباب، ثم يكسر الباب ويدخل رجال البوليس يحملون البنادق. يتقدمهم رئيسهم نحو بنت الله.

رئيس البوليس (فى يده كتاب مطبوع): أنت هنا ونحن نبحث عنك.

بنت الله: هذه دارى ودار أمى وجدتى.

رئيس البوليس: وهذا الكتاب؟ هل أنت المؤلفة؟

بنت الله: نعم.

رئيس البوليس (يخاطب الجنود): ضعوا فى يديها السلاسل!

بنت الله (فى دهشة): لكنها مجرد مسرحية خيالية!

رئيس البوليس (فى استنكار): عوزاها تكون حقيقية كمان؟!

المشهد الأخير

بنت الله جالسة فوق الأرض التراب مكبلة بالسلاسل الحديدية نسمع صوت السلاسل تتحرك مع صوتها غنائها الشجى الحزين. تتحسس الأرض التراب بكفيها وهى تغنى:

بنت الله: هذه الأرض كانت أرضها، ودارها كانت هذه الدار.

وشجرة الجميز، وبابها المفتوح إلى المدخل

والفرن والكانون والمشط والفأس

وجلبابها المعلق فى المسمار

الحصيرة القش ولدت فوقها إبنها.

أرضعته علمته القراءة والكتابة أعطته عقلها

رأيته يمسك الفأس يضربها وأنا أصرخ جدتى

دفنها تحت الأرض أخفى جسدها

ثم خرج للناس يقول أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له أم.

هذا هو أبى المعبود الأعظم

أراد أن يقتلنى أيضا أنا إبنته

لا يعترف إلا بأبنائه الذكور

ويمحو من الوجود ذاكرتى

(المسرح يظلم إلا من ضوء خافت نسمع أصوات كثيرة وضجة بالخارج، صوت نساء وأطفال وشباب يكسرون باب الزنزانة، يدخلون إلى بنت الله نرى من الوجوه فى الضوء الخافت وجه ازيس ورابعة العدوية وسيدنا إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وجميع الشخصيات التى اختفت من المشهد السابق تعود كلها).

يسدل الستار وتنتهى المسرحية